الإسلام والنصرانية

عند ابن تيمية

تقديم وتحقيق وتعليق

الدكتور / محمد زينهم محمد عزب


الروضة
نشر وتوزيع

كلمة الناشر

تواصل دار الروضة مهمتها العلمية والأكاديمية فى نشر كتب التراث فتقدم للمكتبة العربية الكتاب الأول من سلسلة ابن تيمية ، وهو الإسلام والنصرانية الذى يُلقى فيه ابن تيمية الضوء على مفهوم النصرانية عند المسلمين والمذاهب الفقهية بطريقة مشروحة ومفصلة ، والتركيز على المذهب الحنبلى والحكم عليها .

والله ولى التوفيق

سامى صالح



وبـــه نستـــعـــين

حـيـاة ابــن تيـمـيـة

قبل أن نعرض ما قاله ابن تيمية عن النصرانية وموقف الإسلام منها والمذهب الحنبلى بصفة خاصة ، نـُلْقِى الضوء على حياة ابن تيمية بشىء من الدقة والتفصيل .

هو شيخ الإسلام تقى الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن عبد الله بن تيمية الحرانى الحنبلى بل المجتهد المطلق ولد بحران يوم الاثنين عاشر ربيع الأول سنة إحدى وستين وستمائة [1] وقَدِمَ به والده وبأخويه ـ عند استيلاء التتار على البلاد ـ إلى دمشق سنة سبع وستين ، فسمع الشيخ بها ابن عبد الدايم وابن أبى اليسر والمجد بن عساكر ويحيى بن الصيرفى والقسم الأرباح والشيخ شمس الدين بن أبى عمر وغيرهم ، وعنى بالحديث وسمع المسند مرات والكتب الستة ومعجم الطبرانى الكبير وما لا يحصى من الكتب والأجزاء ، وقرأ بنفسه وكتب بخطه جملة من الأجزاء ، وأقبل على العلوم فى صغره فأخذ الفقه والأصول عن والده وعن الشيخ شمس الدين بن أبى عمر والشيخ زين الدين بن المنجا ، وبرع فى ذلك وناظر وقرأ العربية على ابن عبد القوى ، ثم أخذ كتاب سيبويه فتأمله وفهمه وأقبل على تفسير القرآن الكريم فبرز فيه وأحكم أصول الفقه والفرائض والحساب والجبر والمقابلة وغير ذلك من العلوم ، ونظر فِى الحكمة والفلسفة وبرز فى ذلك على أهله وردّ على رؤسائهم وأكابرهم ومَهَرَ فى هذه الفضائل وتأهل للفتوى والتدريس وله دون العشرين سنة ، وأفتى من قبل العشرين أيضاً وأمده الله بكثرة الكتب وسرعة الحفظ ودقة الإدراك والفهم وبطء النسيان حتى قال غير واحد : إنه لم يكن يحفظ شيئاً فينساه ، ثم

(١) انظر : شذرات الذهب لابن العماد الحنبلى ٦ / ٨٠ ـ ٨٦ .

توفى والده وله إحدى وعشرون سنة فقام بوظائفه بعد مدة ، فدرّس بدار الحديث التنكزية المجاورة لحمام نور الدين الشهير فى البزورية فى أول سنة ثلاث وثمانين ، وحضر عنده قاضى القضاة بهاء الدين بن الزكى والشيخ تاج الدين الفزارى وابن المرحل وابن المنجا وجماعة ، فذكر درساً عظيماً فى البسملة بحيث بهر الحاضرين وأثنوا عليه جميعاً .

قال الذهبى : وكان الشيخ تاج الدين الفزارى يبالغ فى تعظيم الشيخ تقى الدين بحيث إنه علق بخطه درسه بالتنكزية ثم جلس عقب ذلك مكان والده بالجامع على منبر أيام الجُمَع لتفسير القرآن العظيم وشرع من أول القرآن فكان يورد فى المجلس من حفظه نحو كراسين أو أكثر وبقى يفسر فى سورة نوح عدة سنين أيام الجمع .

وقال الذهبى فى معجم شيوخه : « شيخنا وشيخ الإسلام وفريد العصر علماً ومعرفة وشجاعة وذكاءً وتنويراً إلهياً وكرماً ونصحاً للأمة وأمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر سمع الحديث وأكثر بنفسه من طلبه وكتب وخَرّج ونظر فى الرجال والطبقات وحصّل ما لم يحصّله غيره وبرع فى تفسير القرآن وغاص فى دقيق معانيه بطبع سيال وخاطر وقّاد إلى مواضع الإشكال ميال واستنبط منه أشياءً لم يسبق إليها وبرع فى الحديث وحفظه فقل من يحفظ ما يحفظ من الحديث معزواً إلى أصوله وصحابته مع شدة استحضار له وقت إقامة الدليل وفاق الناس فى معرفة الفقه واختلاف المذاهب وفتاوى الصحابة والتابعين بحيث إنه إذا أفتى لم يلتزم بمذهب بل بما يُقَوِّم دليله عنده وأتقن العربية أصولاً وفروعاً وتعليلاً واختلافاً ونظر فى العقليات وعرف أقوال المتكلمين وردّ عليهم ونبّه على خطئهم وحذّر ونصر السنة بأوضح حجج وأبهر براهين ، وأوذى فى ذات الله من المخالفين وأخيف فى نصر السنة المحضة حتى أعلى الله مناره وجمع قلوب أهل التقوى على محبته والدعاء له وكبت أعدائه ، وهدى به رجالاً كثيرة من أهل الملل والنحل وجبل قلوب الملوك والأمراء على الانقياد له ـ غالباً ـ وعلى طاعته ، وأحيا به الشام بل الإسلام ، بعد أن كاد ينثلم خصوصاً فى كائنة التتار

وهو أكبر من أن ينبه على سيرته مثلى ، فلو حلفت بين الركن والمقام لحلفت أنى ما رأيت بعينى مثله وأنه ما رأى مثل نفسه » ، انتهى كلام الذهبى .

وكتب الشيخ كمال الدين بن الزملكانى تحت اسم ابن تيمية: « كان إذا سُئِلَ عن فن من العلم ظنّ الرائى والسامع أنه لا يعرف غير ذلك الفن وحَكَمَ أن أحداً لا يعرفه مثله وكان الفقهاء من سائر الطوائف إذا جالسوه استفادوا فى مذاهبهم منه أشياءً ولا يعرف أنه ناظر أحداً فانقطع معه ولا تكلم فى علم من العلوم سواء أكان من علوم الشرع أو غيرها إلاّ فاق فيه أهله ، واجتمعت فيه شروط الاجتهاد على وجهها .

وكتب الحافظ ابن سيد الناس فى جواب سؤالات الدمياطى فى حق ابن تيمية : ألفيته ممن أدرك من العلوم حظاً وكان يستوعب السنن والآثار حفظاً ، إن تكلم فى التفسير فهو حامل رايته ، وإن أفتى فى الفقه فهو مدرك غايته ، أو دان بالحديث فهو صاحب علمه وذوى روايته ، أو حاضر بالنحل والملل لم ير أوسع من نحلته ولا أرفع من درايته ، وبرز فى كل فن على أبناء جنسه ، ولم تر عين من رآه مثله ولا رأت عينه مثل نفسه » .

وقال الذهبى فى تاريخه الكبير بعد ترجمة طويلة : « بحيث يصدق عليه أن يقال كل حديث لا يعرفه ابن تيمية فليس بحديث » ، وترجمه ابن الزملكانى أيضاً ترجمة طويلة وأثنى عليه ثناءً عظيماً وكتب تحت ذلك :

ماذا يقول الواصفون له	**وصفاته جلّت عن الحصر**
هو حجة لله باهرة	**هو بيننا أعجوبة الدهر**
هو آية للخلق ظاهرة	**أنوارها أربت على الفجر**

وللشيخ أثير الدين أبى حيان النحوى لما دخل الشيخ مصر واجتمع به فأنشد أبو حيان :

لما رأينا تقى الدين لاح لنا ... داع إلى الله فرداً ما له وزر
على محيّاه من سيما الأُلَى صحبوا ... خير البرية نور دونه القمر
حَبْرٌ تسربل منه دهره حبراً ... بحر تقاذف من أمواجه الدرر
قام ابن تيمية فى نصر شرعتنا ... مقام سيد تيم إذ عصت مضر
فأظهر الدين إذ آثاره درست ... وأخمد الشرك إذ طارت له شرر
يا من تحدث عن علم الكتاب أصخ ... هذا الإمام الذى قد كان يُنتظر

يشير بهذا إلى أنه المجدّد ، وممن صرَّح بذلك الشيخ عماد الدين الواسطى وقد توفى قبل الشيخ ، وقال فى حق الشيخ بعد ثناء طويلٍ جميلٍ ما لفظه : « فوالله ثم والله ثم والله لم ير تحت أديم السماء مثل شيخكم ابن تيمية علْماً وعملاً وحالاً وخلقاً واتِّباعاً وكرماً وحلماً وقياماً فى حق الله عند انتهاك حرماته ، أصدق الناس عقداً وأصحهم علماً وعزماً وأنفذهم وأعلاهم فى انتصار الحق وقيامه همة وأسخاهم كفاً وأكملهم اتباعاً لنبيه محمد ﷺ ؛ ما رأينا فى عصرنا هذا من تستجلى النبوة المحمدية وسننها من أقواله وأفعاله إلاَّ هذا الرجل ، يشهد القلب الصحيح أن هذا هو الاتباع حقيقة » .

وقال الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد وقد سئل عن ابن تيمية بعد اجتماعه به كيف رأيته؟ فقال : « رأيت رجلاً سائر العلوم بين عينيه يأخذ ما شاء منها ويترك ما شاء ، فقيل له : فَلِـمَ لا تتناظرا؟ قال : لأنه يحب الكلام وأحب السكوت » ، وقال برهان الدين بن مفلح فى طبقاته : « كتب العلاَّمة تقى الدين السبكى إلى الحافظ الذهبى فى أمر الشيخ تقى الدين بن تيمية : فالمملوك يتحقق قدره وزخارة بحره وتوسعته فى العلوم الشرعية والعقلية وفرط ذكائه واجتهاده وأنه بلغ من ذلك كل المبلغ الذى يتجاوزه الوصف ، والمملوك يقول ذلك دائماً وقدره فى نفسى أكبر من ذلك وأجلُّ مع ما جمعه الله له من الزهادة والورع والديانة ونصرة الحق والقيام فيه لا لغرض سواه وجريه على سنن السلف وأخذه من ذلك بالمأخذ الأوفى وغرابة مثله فى هذا الزمان بل فى أزمان » انتهى ..

وقال العلاّمة الحافظ ابن ناصر الدين فى شرح بديعته بعد ثناء جميل وكلام طويل : « حَدَّث عنه خَلْق منهم الذهبى والبرزالى وأبو الفتح بن سيد الناس ، وحدثنا عنه جماعة من شيوخنا الأكياس ، وقال الذهبى فى عد مصنفاته المُجَوَّدة وما أبعد أن تصانيفه إلى الآن تبلغ خمسمائة مجلدة وأثنى عليه الذهبى وخلق بثناء حميد منهم الشيخ عماد الدين الواسطى العارف والعلامة تاج الدين عبد الرحمن الفزارى وابن الزملكانى وأبو الفتح وابن دقيق العيد وحَسْبه من الثناء الجميل قول أستاذ أئمة الجرح والتعديل أبى الحجاج المزى الحافظ الجليل قال عنه : ما رأيت مثله ولا رأى هو مثل نفسه وما رأيت أحداً أعلم بكتاب الله وسنة رسوله ولا أتبع لهما منه ، وترجمه بالاجتهاد وبلوغ درجته والتمكن فى أنواع العلوم والفنون ابن الزملكانى والذهبى والبرزالى وابن عبد الهادى وآخرون ولا يخلف بعده من يقاربه فى العلم والفضل » ، انتهى كلام ابن ناصر الدين ملخصاً .

وكان الشيخ العارف بالله أبو عبد الله بن قوام يقول : ما أسلمت معارفنا إلاَّ على ابن تيمية .

وقال ابن رجب : كانت العلماء والصلحاء والجند والأمراء والتجار وسائر العامة تحبه لأنه منتصب لنفعهم ليلاً ونهاراً بلسانه وعلمه ، ثم قال ابن رجب وغيره ذكر نبذة من مفرداته وغرائبه اختار ارتفاء الحدث بالمياه المتعصرة كماء الورد ونحوه والقول بأن المائع لا ينجس بوقوع النجاسة فيه إلاَّ أن يتغير قليلاً كان أو كثيراً والقول بجواز المسح على النعلين والقدمين وكلما يحتاج فى نزعه من الرجل إلى معالجة باليد أو بالرجل الأخرى فإنه يجوز المسح عليه مع القدمين واختار أن المسح على الخفين لا يتوقت مع الحاجة كالمسافر على البريد ونحوه ، وفعل ذلك فى ذهابه إلى الديار المصرية على خيل البريد ويتوقت مع إمكان النزع وتيسره ، واختار جواز المسح على اللفايف ونحوها ، واختار جواز التيمم بخشية فوات الوقت فى حق غير المعذور كمن أخر الصلاةِ عمداً حتى تضايق وقتها ، وكذا من خشى فوات الجمعة والعيدين وهو محدث،

واختار أن المرأة إذا لم يمكنها الاغتسال فى البيت وشق عليها النزول إلى الحمام وتكره أنها تتيمم وتصلى ، واختار أن لا حَدٌّ لأقل الحيض ولا لأكثره ولا لأقل الطهر بين الحيضتين ولا لِسنٍّ الإياس وأن ذلك يرجع إلى ما تعرفه كل امرأة من نفسها .

واختار أن تارك الصلاة عمداً لا يجب عليه القضاء ولا يشرع له ، بل يكثر من النوافل ، وأن القصر يجوز فى قصير السفر وطويله كما هو مذهب الظاهرية، واختار القول بأن البكر لا تستبرأ وإن كانت كبيرة كما هو قول ابن عمر ، واختاره البخارى صاحب الصحيح ، والقول بأن سجود التلاوة لا يشترط له وضوء كما هو مذهب ابن عمر واختيار البخارى ، والقول بأن من أكل فى شهر رمضان معتقداً أنه ليل وكان نهاراً لا قضاء عليه ، كما هو الصحيح عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وإليه ذهب بعض التابعين وبعض الفقهاء بعدهم ، والقول بجواز المسابقة بلا محلل وإن أخرج المتسابقان والقول باستبراء المختلعة بحيضة .

وكذلك الموطوءة بشبهة ، والمطلقة آخر ثلاث تطليقات ، والقول بإباحة وطء الوثنيات بملك اليمين ، وجواز طواف الحائض ولا شىء عليها إذا لم يمكنها أن تطوف طاهراً ، والقول بجواز بيع الأصل بالعصير كالزيتون بالزيت والسمسم بالسيرج .

والقول بجواز بيع ما يتخذ من الفضة للتحلى وغيره ، كالخاتم ونحوه بالفضة متفاضلاً وجعل الزايد من الثمن فى مقابلة الصنعة ، ومن أقواله المعروفة المشهورة التى جرى بسبب الإفتاء بها محن وقلاقل قوله بالتكفير فى الحلف بالطلاق وأن الطلاق الثلاث لا يقع إلا واحدة ، وأن الطلاق المحرم لا يقع ، وله فى ذلك مؤلفات كثيرة لا تنحصر ولا تنضبط .

وقال ابن رجب : مَكَثَ الشيخ معتقلاً فى القلعة من شعبان سنة ست وعشرين إلى ذى القعدة سنة ثمان وعشرين ثم مرض بضعة وعشرين يوماً ولم يعلم أكثر الناس بمرضه ولم يفجأهم إلا موته ، وكانت وفاته فى سحر ليلة

الاثنين العاشر من ذى القعدة ، ذكره مؤذن القلعة على منارة الجامع وتكلم به الحرس على الأبرجة فتسامع الناس بذلك ، وبعضهم علم به فى منامه ، واجتمع الناس حول القلعة حتى أهل الغوطة والمرج ، ولم يطبخ أهل الأواق ولا فتحوا كثيراً من الدكاكين ، وفتح باب القلعة ، واجتمع عند الشيخ خلق كثير من أصحابه يبكون ويثنون ، وأخبرهم أخوه زين الدين عبد الرحمن أنه ختم هو والشيخ منذ دخلا القلعة ثمانين ختمة ، وشرعا فى الحادية والثمانين وانتهيا إلى قوله : ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ * فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [1] فشرع حينئذ الشيخان الصالحان عبد الله بن المحب الصالحى والزرعى الضرير وكان الشيخ يحب قراءتهما فابتدآ من سورة الرحمن حتى ختما القرآن وخرج من عنده من كان حاضراً إلاَّ من يغسِّله ويساعد على تغسيله وكانوا جماعة من أكابر الصالحين وأهل العلم كالمزى وغيره .

وما فرغ من تغسيله حتى امتلأت القلعة وما حولها بالرجال ، فصلى عليه بدركاة القلعة الزاهد القدوة محمد بن تمام ، وضج الناس حينئذ بالبكاء والثناء والدعاء بالترحم ، وأُخْرِجَ الشيخ إلى جامع دمشق وصلوا عليه الظهر ، وكان يوماً مشهوداً لم يعهد بدمشق مثله ، وصرخ صارخ : هكذا تكون جنائز أئمة السنة ، فبكى الناس بكاءً كثيراً ، وأُخْرِجَ من باب البريد واشتد الزحام وألقى الناس على نعشه مناديلهم ، وصار النعش على الرءوس يتقدم تارة ويتأخر أخرى. وخرجت جنازته من باب الفرج وازدحم الناس على أبواب المدينة جميعاً للخروج ، وعَظُمَ الأمر بسوق الخيل ، وتقدم فى الصلاة عليه هناك أخوه عبد الرحمن ودُفن وقت العصر أو قبلها بيسير إلى جانب أخيه شرف الدين عبد الله بمقابر الصوفية ، وحزر من حضر جنازته بمائتى ألف ومن النساء بخمسة عشر ألفاً ، وختمت له ختمات كثيرة رحمه الله ورضى عنه . مات سنة ٧٢٨هـ .

---

(١) القمر : ٥٤ ، ٥٥ .

وكتاب الإسلام والنصرانية من الكتب الهامة التى وضعها ابن تيمية حيث نشرها فى عدة رسائل صغيرة ، وبيّن فيها مفهوم النصرانية عند المذاهب والفقهاء والفرق بطريقة واضحة . فلهذا نقدم هذا الكتاب بطريقة محققة مع عمل التعليقات والكشافات والعودة إلى المصادر والمراجع .

ونسأل الله العون والمغفرة

القاهرة فى ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م

الرسالة الأولى



سئل شيخ الإسلام وناصر السنة فريد الوقت وبحر العلوم تاج العارفين ، وكنز المستفيدين ، ولسان المتكلمين وقدوة المحققين ، وبقية المجتهدين ، وحجة المتأخرين ، وإمام الزاهدين ومنار المجاهدين الإمام المحقق النورانى ، والعالم المجتهد الربانى تقى الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحرّانى رحمه الله ، عن النصيرية وما يتعلق بهم بمقتضى سؤال حرره الشيخ الإمام العالم العامل العلامة المحقق شهاب الدين أحمد بن محمد بن محمود بن مرى الشافعى رحمه الله وجعله من حزبه المفلحين وعفا عنه وعافاه .

ما تقول السادة العلماء أئمة الدين رضى الله عنهم أجمعين وأعانهم على إظهار الحق المبين وإخماد شغب المبطلين فى النصيرية القائلين باستحلال الخمر وتناسخ الأرواح وقدم العالم وإنكار البعث والنشور والجنة والنار فى غير الحياة الدنيا ، وبأن الصلوات عبارة عن خمسة أسماء وهى : على وحسن وحسين ومحسن وفاطمة ، فـذكْر هذه الأسماء الخمسة ـ على رأيهم ـ يجزيهم عن الغسل من الجنابة والوضوء وبقية شروط الصلوات وواجباتها وبأن الصيام عندهم عبارة عن اسم ثلاثين رجلاً واسم ثلاثين امرأة يعدونهم فى كتبهم ، ويضيق هذا الموضع عن إبرازهم وبأن إلهـهم الذى خـلق السمـوات والأرض هو على ابن أبى طالب [1] رضى الله عنه ، فهو عندهم الإمام فى السماء والإمام فى الأرض فكانت الحكمة فى ظهور اللاهوت بهذا الناسوت على رأيهم أن يؤنس خلقه وعبيده ليعلمهم كيف يعرفونه ويعبدونه ، وبأن النصيرى عندهم لا يصير نصيرياً يجالسونه ويشربون معه الخمر ويطلعونه على أسرارهم ويزوجونه من نسائهم حتى يخاطبه معلمه ، وحقيقة الخطاب عندهم أن يحلفوه على كتمان دينه ومعرفة مشايخه وأكابر أهل مذهبه وعلى أن لا ينصح مسلماً ولا غيره إلاَّ من كان من أهل دينه ، وعلى أن يعرف ربه وإمامه بظهوره فى أنواره وأدواره

(١) هو أمير المؤمنين على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ أبو الحسن الهاشمى قاضى الأمة وفارس الإسلام جاهد فى الله حق جهاده ، ونهض بأعباء العلم والعمل . استشهد فى عام ٤٠ هـ .

فيعرف انتقال الاسم ، والمعنىّ فى كل حين وزمان فالاسم عندهم فى أول الناس آدم والمعنى هو شيث ، والاسم يعقوب والمعنى هو يوسف ، ويستدلون على هذه الصورة كما يزعمون بما فى القرآن العظيم حكاية عن يعقوب ويوسف عليهما الصلاة والسلام ، فيقولون : أمّا يعقوب فإنه كان الاسم فما قدر أن يتعدى منزلته فقال : ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّى﴾ (1) وأمّا يوسف فكان المعنى المطلوب فقال : لا تثريب عليكم اليوم فلم يعلق الأمر بغيره ، لأنه علم أنه هو الإمام المتصرف ، ويجعلون موسى هو الاسم ويوشع هو المعنى ويقولون : يوشع ردت له الشمس لما أمرها فأطاعت أمره وهل تردُّ الشمس إلا لربِّها ويجعلون سليمان هو الاسم وآصف هو المعنى ويقولون : سليمان عجز عن إحضار عرش بلقيس وقدر عليه آصف لأن سليمان كان الصورة وآصف كان المعنى القادر المقتدر .

وقد قال قائلهم :

هابيل شيث يوسف يوشع آصف شمعون الصفا حيدر

ويعدون الأنبياء والمرسلين واحداً واحداً على هذا النمط إلى زمن رسول الله ﷺ فيقولون : محمد هو الاسم وعلىّ هو المعنى ويوصلون العدد على هذا الترتيب فى كل زمان إلى وقتنا هذا فمن حقيقة الخطاب فى الدين عندهم أن عليًا هو الرب وأن محمداً هو الحجاب وأن سليمان هو الباب .

وأنشد بعض أكابر رؤسائهم وفضلائهم لنفسه فى شهور سنة سبعمائة فقال :

أشهد أن لا إله إلا حيدرة الأنزع البطين
ولا حجاب عليه إلا محمد الصادق الأمين
ولا طريق إليه إلا سليمان ذو القوة المتين

ويقولون : إن ذلك على هذا الترتيب لم يزل ولا يزال ، وكذلك الخمسة الأيتام والاثنى عشر نقيباً ، وأسماؤهم مشهورة عندهم ومعلومة من كتبهم الخبيثة ، وإنهم لا يزالون يظهرون مع الرب والحجاب ، والباب فى كل كور

(1) يوسف (12 ك) : 98

ودور أبداً سرمداً على الدوام والاستمرار ويقولون : إن إبليس الأبالسة هو عمر بن الخطاب (١) رضى الله عنه ، ويليه فى رتبته الإبليسية أبو بكر (٢) رضى الله عنه ثم عثمان (٣) رضى الله عنهم أجمعين وشرفهم ، وأعلى رتبتهم عن أقوال الملحدين وانتحال أنواع الضالين والمفسدين ، فلا يزالون موجودين فى كل وقت دائماً حسبما ذكر من الترتيب ولمذاهبهم الفاسدة شعب وتفاصيل ترجع إلى هذه الأصول المذكورة .

وهذه الطائفة الملعونة استولت على جانب كبير من بلاد الشام معروفون مشهورون متظاهرون بهذا المذهب وقد حقق أحوالهم كل من خالطهم وعرفهم من عقلاء المسلمين وعلمائهم ، ومن عامة الناس أيضاً فى هذا الزمان ، لأن أحوالهم كانت مستورة عن أكثر الناس وقت استيلاء الإفرنج المخذولين على البلاد الساحلية .

فلما جاءت أيام الإسلام انكشف حالهم وظهر ضلالهم والابتلاء بهم كثير جداً ، فهل يجوز لمسلم أن يزوجهم أو يتزوج منهم؟ وهل يحلُّ أكل ذبائحهم والحالة هذه أم لا؟ وما حكم الجبن المعمول من أنفحة ذبيحتهم ؟ وما حكم أوانيهم وملابسهم وهل يجوز دفنهم بين المسلمين أم لا؟ وهل يجوز استخدامهم فى ثغور المسلمين وتسليمها إليهم أم يجب على ولى الأمر قطعهم واستخدام غيرهم من المسلمين الكفاة؟ وإذا استخدمهم وأقطعهم أو لم يقطعهم هل يجوز له صرف أموال بيت المال عليهم؟ وهل دماء النصيرية المذكورين مباحة وأموالهم حلال أم لا؟ وإذا جاهدهم ولى الأمر أيّده الله تعالى بإخماد باطلهم وقطعهم من حصون المسلمين وحذّر أهل الإسلام من مناكحتهم وأكل ذبائحهم ، وألزمهم بالصوم والصلاة ومنعهم من إظهار دينهم الباطل وهم يلونه

---

(١) هو أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أبو حفص العدوى الفاروق وزير رسول الله ﷺ ومن أيّد الله به الإسلام ، وفتح به الأمصار، وهو الصادق المحدَّث الملهم ، وهو الذى سن للمحدثين التثبت فى النقل . استشهد سنة ٢٣ هـ .

(٢) هو أبو بكر الصديق رضى الله عنه أفضل الأمة وخليفة رسول الله ﷺ ومؤنسه فى الغار وصديقه الأكبر ووزيره الأحزم عبد الله بن أبى قحافة القرشى التيمى . مات سنة ١٣ هـ .

(٣) هو أمير المؤمنين عثمان بن عفان أبو عمر الأموى ذو النورين ومن جمع الأمة على مصحف واحد بعد الاختلاف ، ومن افتتح نوابه أقليم خراسان وأقليم المغرب ، مات سنة ٣٥ هـ .

من الكفار ، هل ذلك أفضل وأكثر أجراً من التصدى والترصد لقتال التتار فى بلادهم ، وهدم بلاد سيس [١] وديار الإفرنج على أهلها أم هذا أفضل من كونه يجاهد النصيرية المذكورين مرابطاً ، ويكون أجر من رابط فى الثغور على ساحل البحر خشية قصد الفرنج أكبر أم هذا أكبر أجراً؟ وهل يجب على من عرف المذكورين ومذاهبهم أن يشهر أمرهم ، ويساعد على إبطال باطلهم وإظهار الإسلام بينهم ، فلعل الله تعالى أن يهدى بعضهم إلى الإسلام، وأن يجعل من ذريتهم وأولادهم ناساً مسلمين ، بعد خروجهم من ذلك الكفر العظيم ، أم يجوز التغافل عنهم والإهمال؟ وما قدر أجر المجاهد على ذلك ، والمجاهد فيه والمرابط له والملازم عليه؟ ولتبسطوا القول فى ذلك مثابين مأجورين إن شاء الله تعالى إنه على كل شىء قدير وحسبنا الله ونعم الوكيل.

ـ أجاب شيخ الإسلام تقى الدين أبو العباس أحمد بن تيمية وقال : الحمد لله رب العالمين . هؤلاء القوم المسمون بالنصيرية هم وسائر أصناف القرامطة [٢] الباطنية أكفر من اليهود والنصارى ، بل وأكفر من كثير من المشركين وضررهم على أمة محمد ﷺ أعظم من ضرر الكفار المحاربين ، مثل كفار التتار والفرنج وغيرهم.

فإن هؤلاء يتظاهرون عند جُهَّال المسلمين بالتَّشَيع وموالاة أهل البيت ، وهم فى الحقيقة لا يؤمنون بالله ولا رسوله ولا بكتابه ولا بأمر ولا نهى ولا ثواب ولا عقاب ولا جنة ولا نار ولا بأحد من المسلمين قبل محمد ﷺ ولا بملة من الملل السالفة ، بل يأخذون كلام الله ورسوله المعروف عند علماء المسلمين يتأوَّلونه على أمور يفترونها يدَّعون أنها علم الباطن من جنس ما ذكره السائل ومن غير هذا الجنس ، فإنهم ليس لهم حدٌّ محدود فيما يدعونه من الإلحاد فى أسماء الله تعالى وآياته وتحريف كلام الله تعالى ورسوله عن مواضعه إذ مقصودهم إنكار الإيمان وشرائع الإسلام بكل طريق مع التظاهر بأن لهذه الأمور حقائق يعرفونها من جنس ما ذكر السائل ومن جنس قولهم إن الصلوات

(١) ويقال : سيسية وعامة أهلها يقولون : سيس ، بلد هو اليوم أعظم مدن الثغور الشامية بين أنطاكية وطرسوس . (انظر معجم البلدان لياقوت الحموى) .

(٢) انظر : التفاصيل فى كتاب « كشف أسرار الباطنية للحمادى » .

الخمس معرفة أسرارهم أو الصيام المفروض كتمان أسرارهم وحج البيت العتيق زيارة شيوخهم ، وأن يـدى أبى لهب هما أبو بكر وعمر وأن النبأ العظيم والإمام المتين هو علىٌّ بن أبى طالب ، ولهم في معاداة الإسلام وأهله وقائع مشهورة وكتب مصنفة ، فإذا كانت لهم مكـنة سفكوا دماء المسلمين كما قتلوا مرة الحـجّاج وألقوهم فى بئر زمزم وأخذوا مرة الحجر الأسود وبقى عندهم مدة وقتلوا من علماء المسلمين ومشايخهم وأمرائهم وجندهم ما لا يـحصى عدده إلا الله تعالى ، وصنفوا كتباً كثيرة مما ذكره السائل وغيره وصنّف علماء المسلمين كتباً فى كشف أسرارهم وهتك أستارهم ، وبينوا فيها ما هم عليه من الكفر والزندقة والإلحاد ، الذين هم به أكفر من اليهود والنصارى ، ومن براهمة الهند الذين يعبدون الأصنام ، وما ذكره السائل فى وصفهم قليل من الكثير الذى يعرفه العلماء من وصفهم .

ومن المعلوم عندنا أن السواحل الشامية إنما استولى عليها النصارى من جهتهم ، وهم دائماً مع كل عدو للمسلمين فهم مع النصارى على المسلمين ومن أعظم المصائب عندهم انتصار المسلمين على التتار ومن أعظم أعيادهم إذا استولى ـ والعياذ بالله تعالى ـ النصارى على ثغور المسلمين ، وما زالت بأيدى المسلمين حتى جزيرة قبرس يسّر الله فتحها عن قريب وفتحها المسلمون فى خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه ، فتحها معاوية بن أبى سفيان إلى أثناء المائة الرابعة فهؤلاء المحادين لله ورسوله كثروا بالسواحل وغيرها ، فاستولى النصارى على الساحل ثم بسببهم استولوا على القدس الشريف وغيره .

فإن أحوالهم كانت من أعظم الأسباب فى ذلك ثم لـمّا أقام الله ملوك المسلمين المجاهدين فى سبيل الله تعالى كنور الدين الشهيد وصلاح الدين وأتباعهما ، وفتحوا السواحل من النصارى ممن كان بها منهم ، وفتحوا أيضاً أرض مصر فإنهم كانوا مستولين عليها نحو مائتى سنة ، واتفقوا هم والنصارى فجاهدهم المسلمون حتى فتحوا البلاد .

ومن ذلك التاريخ انتشرت دعوة الإسلام بالديار المصرية والشامية ثم إن التتار ما دخلوا بلاد الإسلام وقتلوا خليفة بغداد وغيره من ملوك المسلمين إلاَّ

بمعاونتهم ومؤازرتهم فإن مرجع هؤلاء الذى كان وزيرهم وهو النصير الطوسى كان وزيراً لهم بالألموت ، وهو الذى أمر بقتل الخليفة وبولاية هؤلاء ، ولهم ألقاب معروفة عند المسلمين تارة يُسَمُّون الملاحدة وتارة يسمون القرامطة وتارة يسمون الباطنية وتارة يسمون الإسماعيلية وتارة يسمون النصيرية وتارة يسمون الحزمية وتارة يسمون المحمرة ، وهذه الأسماء منها ما يعمُّهم ومنها ما يخص بعض أصنافهم ، كما أن الإسلام والإيمان يعمُّ المسلمين ، ولبعضهم اسم يخصه إمَّا لنسب وإمَّا لمذهب وإمَّا لبلدٍ وإما لغير ذلك ، وشرح مقاصدهم يطول.

كما قال العلماء فيهم : ظاهر مذهبهم الرفض وباطنه الكفر المحض ، وحقيقة أمرهم أنهم لا يؤمنون بنبى من الأنبياء والمرسلين ، لا بنوح ولا إبراهيم ولا موسى ولا عيسى ولا محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، ولا بشىء من كتب الله المنزَّلة لا بالتوراة ولا الإنجيل ولا القرآن ، ولا يقرُّون بأن للعالم خالقاً خلقه ، ولا بأن له ديناً أمِرَ به ولا أن له داراً يجزى الناس فيها على أعمالهم غير هذه الدار .

وهم تارة يبنون قولهم على مذاهب الفلاسفة الطاعنين والإلهيين ، وتارة يبنونه على قول الفلاسفة ، وقول المجوس الذين يعبدون النور ويضمون إلى ذلك الرفض ، ويحتجون لذلك من كلام النبوات ؛ إمَّا بقول مكذوب ينقلونه كما ينقلون عن النبى ﷺ أنه قال : أول ما خلق الله العقل ؛ والحديث موضوع باتفاق أهل العلم بالحديث ، ولفظه : إن الله لما خلق العقل فقال له : أقبل فأقبل فقال له : أدبر فأدبر . فيحرفون لفظه ، ويقولون : أول ما خلق الله العقل ليوافقوا قول المتفلسفة أتباع أرسطو فى أن أول الصادرات عن واجب الوجود هو العقل ، وإمَّا بلفظ ثابت عن النبى ﷺ فيحرفونه عن مواضعه ، كما يصنع أصحاب رسائل إخوان الصفا ونحوهم فإنهم من أئمتهم ، وقد دخل كثير من باطلهم على كثير من المسلمين وراج عليهم حتى صار ذلك فى كتب طوائف من المنتسبين إلى العلم والدين ، وإن كانوا لا يوافقونهم على أصول الدعوة النهائية ، وهى درجات متعددة ويسمون النهاية البلاغ الأكبر والناموس الأعظم، ومضمون البلاغ الأكبر جحد الخالق تعالى والاستهزاء به وبمن يقرُّ به حتى قد يكتب أحدهم اسم الله فى أسفل رجله ، وفيه أيضاً جحد شرائعه ودينه وما جاء

به الأنبياء ودعوى أنهم من جنسهم طالبين للرياسة فمنهم من أحسن فى طلبها ومنهم من أساء فى طلبها حتى قتل ويجعلون محمداً وموسى من القسم الأول ويجعلون المسيح من القسم الثانى وفيه من الاستهزاء بالصلاة والزكاة والصوم والحج ومن تحليل نكاح ذوات المحارم وسائر الفواحش ما يطول وصفه ، ولهم إشارات ومخاطبات يعرف بها بعضهم بعضاً ، وهم إذا كانوا فى بلاد المسلمين التى يكثر فيها أهل الإيمان فقد يخفون على من لا يعرفهم ، وأمّا إذا كثروا فإنه يعرفهم عامة الناس فضلاً عن خاصتهم .

وقد اتفق علماء المسلمين على أن هؤلاء لا تجوز مناكحتهم ، ولا يجوز أن ينكح الرجل موليته منهم ، ولا يتزوج منهم امرأة ولا تباح ذبائحهم ، وأمّا الجبن المعمول بأنفحتهم ، ففيه قولان مشهوران للعلماء كسائر أنفحة الميتة وكأنفحة ذبيحة المجوس وذبيحة الفرنج الذين يقال عنهم إنهم لا يزكون الذبائح ، فمذهب أبى حنيفة وأحمد فى إحدى الروايتين أنه يحلُّ هذا الجبن لأن أنفحة الميت طاهرة على هذا القول لأن الأنفحة لا تموت بموت البهيمة وملاقاة الوعاء النجس فى الباطن لا ينجس .

ومذهب مالك والشافعى وأحمد فى الرواية الأخرى أن هذا الجبن نجس لأن أنفحة هؤلاء نجسة لأن لبن أنفحتها عندهم نجس ومن لا تؤكل ذبيحته فذبيحته كالميتة ، وكل من أصحاب القولين يحتج بآثار ينقلها عن الصحابة فأصحاب القول الأول نقلوا أنهم أكلوا جبن المجوس ، وأصحاب القول الثانى نقلوا أنهم أكلوا ما كانوا يظنون أنه من جبن النصارى فهذه مسألة اجتهاد للمقلد أن يقلد من يفتى بأحد القولين ، وأما أوانيهم وملابسهم فكأوانى المجوس ، وملابس المجوس على ما عرف من مذاهب الأئمة ، والصحيح فى ذلك أن أوانيهم لا تستعمل إلا بعد غسلها ، فإن ذبائحهم ميتة فلا بد أن تصيب أوانيهم المستعملة ما يطبخونه من ذبائحهم فتنجس بذلك ، فأمّا الآنية التى لا يغلب على الظن وصول النجاسة إليها فتستعمل من غير غسل كآنية اللبن التى لا يضعون فيها طبيخهم أو يغسلونها قبل وضع اللبن فيها ، وقد توضأ عمر بن الخطاب رضى الله عنه من جرة نصرانية فما شك فى نجاسته لم يحكم بنجاسته بالشك ، ولا يجوز دفنهم فى مقابر المسلمين ، ولا يصلّى على من

مات منهم فإن الله سبحانه وتعالى نهى نبيه ﷺ عن الصلاة على المنافقين كعبد الله بن أُبَـيّ ونحوه.

وكانوا يتظاهرون بالصلاة والزكاة والصيام والجهاد مع المسلمين ولا يظهرون مقالة تخالف دين الإسلام لكن يُسِـرُّون ذلك فقال الله: ﴿ وَلا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّـاتَ أَبَدًا وَلا تَقُمْ عَلَىٰ قَـبْـرِهِ إِنَّهُمْ كَـفَـرُوا بِاللَّهِ وَرَسُـولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ (١) .

فكيف بهـؤلاء الذين هم مع الزندقـة والنفـاق يظهـرون الكفـر والإلحـاد ، واستخدام مثل هؤلاء فى ثغور المسلمين أو حصونهم أو جندهم فإنه من الكبائر وهو بمنزلة من يستخدم الذئاب لرعى الغنم فإنهم من أغشّ الناس للمسلمين ولولاة أمـورهم ، وهم أحرص الناس على فسـاد المملكة والدولة وهم شر من المخامر الذى يكون فى العسكر ، فإن المخامر قد يكون له غرض إمّا مع أمير العسكر وإمّا مع العدو ، وهؤلاء مع الملة ونبيـهـا ودينهـا وملوكهـا وعلمـائهـا وعـامتـهـا وخاصّتـهـا ، وهم أحرص الناس على تسليم الحصـون إلى عـدو المسلمين وعلى إفساد الجند على ولى الأمر وإخراجهم عن طاعته ويحل لولاة الأمور قطعهم من دواوين المقاتلة فلا يـتْرَكون فى ثغر ولا فى غير ثغر ، فإن ضررهم فى الثغر أشد وأن يستخدم بدلهم من يحتاج إلى استخدامه من الرجال المأمونين على دين الإسلام وعلى النصح لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، بل إذا كان ولى الأمر لا يستخدم من يغشه وإن كان مسلماً فكيف بمَنْ يغش المسلمين كلهم ، ولا يجوز له تأخير هذا الواجب مع القدرة عليه بل أى وقت قدر على الاستبدال بهم وجب عليه ذلك ، وأمّا إذا استخدموا وعملوا العمل المشروط عليه فلهم إمّا المسمى ، وإمّا أُجْـرَة المثل لأنهم عُوقدوا على ذلك فإنْ كان العقد صحيحاً وجب المسمى وإن كان فاسداً وجبت أجرة المثل وإن لم يكن استخدامهم من جنس الإجارة اللازمة ، فهى من جنس الجعالة الجائزة لكن هؤلاء لا يجوز استخدامهم فالعـقد عقـد فـاسد فـلا يستـحقون إلاّ قيمة عملهم فإنْ لم يكونوا عملوا عـمـلاً له قيـمـة ، فلا شيء لهم لكن دماءهم

(١) التوبة (٩ م) : ٨٤.

وأموالهم مباحة وإذا أظهروا التوبة ففى قبولها منهم نزاع بين العلماء فمَنْ قَبل توبتهم إذا التزموا شريعة الإسلام أقرُّوا مالهم عليهم ومن لم يقبلها ورثتهم من جنسهم ، فإن مالهم يكون فيأ لبيت المال لكن هؤلاء إذا أخذوا فإنهم يظهرون التوبة لأن أصل مذهبهم التُّقْية وكتمان أمرهم وفيهم من يعرف وفيهم من قد لا يعرف فالطريق في ذلك أن يحتاط فى أمرهم فلا يتْركون مجتمعين ولا يمكَّنون من حمْل السلاح وأن يكونوا من المقاتلة ويلزموا شرائع الإسلام من الصلوات الخمس وقراءة القرآن ويترك بينهم من يعلِّمهم دين الإسلام ويحال بينهم وبين معلمهم ، فإن أبا بكر الصديق رضى الله عنه وسائر الصحابة لما ظهروا على أهل الردَّة وجاءوا إليه قال لهم الصديق : اختاروا إمَّا الحرب المجلية وإمَّا السلم المخزية ، قالوا : يا خليفة رسول الله هذه الحرب المجلية قد عرفناها فما السلم المخزية ؟

قال : تَدُون قتلانا ولا ندى قتلاكم وتشهدون أن قتلانا فى الجنة وقتلاكم فى النار ونقسِّم ما أصبنا من أموالكم وتردُّون ما أصبتم من أموالنا وتنزع منكم الحلقة والسلاح وتمنعون من ركوب الخيل وتتركون تتبعون أذناب الإبل حتى يرى خليفة الله ورسوله والمؤمنين أمراً بعد ردَّتكم فوافقه الصحابة على ذلك إلاَّ فى تضمين قتلى المسلمين فإن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال له : هؤلاء قُتلوا فى سبيل الله فأُجورهم على الله يعنى هم شهداء فلا دية لهم فاتفقوا على قول عمر فى ذلك .

وهذا الذى اتفق الصحابة عليه هو مذهب أئمة العلماء ، والذين تنازعوا فيه تنازع فيه العلماء فمذهب أكثرهم أن من قتله المرتدون المجتمعون المحاربون لا يضمن ، كما اتفقوا عليه آخراً وهو مذهب أبى حنيفة وأحمد فى إحدى الروايتين ومذهب الشافعى وأحمد فى الرواية الأخرى وهو القول الأول ، فهذا الذى فعله الصحابة بأولئك المرتدين بعد عودتهم إلى الإسلام يفعل بمن أظهر الإسلام والتهمة ظاهرة فيه ، فيمنع أن يكون من أهل الخيل والسلاح والدروع التى تلبسها المقاتلة ولا يتْرك فى الجند من يكون يهودياً ولا نصرانياً ويلزمون شرائع الإسلام حتى يظهر ما يفعلونه من خير أو شر ، ومَنْ كان من أئمة ضلاَّلهم وأظهر التوبة أخرج عنهم وسيِّر إلى بلاد المسلمين التى

ليس لهم بها ظهور .

فإمَّا أن يهديه الله تعالى وإما أن يموت على نفاقه من غير مَضَرَّة للمسلمين ولا ريب أن جهاد هؤلاء وإقامة الحدود عليهم من أعظم الطاعات وأكبر الواجبات ، وهو أفضل من جهاد من لا يقاتل المسلمين من المشركين وأهل الكتاب فإن جهاد هؤلاء من جنس جهاد المرتدين . والصِّديق وسائر الصحابة بدءوا بجهاد المرتدين قبل جهاد الكفار من أهل الكتاب .

فإن جهاد هؤلاء حفظ لما فتح من بلاد المسلمين وأن يدخل فيه من أراد الخروج عنه وجهاد من لم يقاتلنا من المشركين وأهل الكتاب من زيادة إظهار الدين وحفظ رأس المال مقدم على الربح ، وأيضاً فضرر هؤلاء على المسلمين أعظم من ضرر أولئك ، بل ضرر هؤلاء من جنس ضرر من يقاتل المسلمين من المشركين وأهل الكتاب وضررهم فى الدين على كثير من الناس أشد من ضرر المحاربين من المشركين وأهل الكتاب ويجب على كل مسلم أن يقوم فى ذلك بحسب ما يقدر عليه من الواجب فلا يحلُّ لأحد أن يكتم ما يعرفه من أخبارهم بل يُفْشيها ويظهرها ليعرف المسلمون حقيقة حالهم ولا يحلُّ لأحد أن ينهى عن القيام بما أمر الله به ورسوله فإن هذا من أعظم أبواب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والجهاد فى سبيل الله تعالى .

وقد قال الله تعالى لنبيه ﷺ : ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِىُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ (١) والمعاون على كفِّ شرهم وهدايتهم بحسب الإمكان له من الأجر والثواب ما لا يعلمه إلاَّ الله تعالى ، فإن المقصود بالقصد الأول هو هدايتهم .

كما قال الله تعالى : ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ (٢) .

قال أبو هريرة : كنتم خير الناس للناس تأتون بهم فى القيود والسلاسل حتى تدخلوهم الإسلام ، فالمقصود بالجهاد والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر هداية العباد لمصالح المعاش والمعاد بحسب الإمكان ، فمن هداه الله منهم سعد فى الدنيا والآخرة ، ومن لم يهتد كفَّ الله ضرره عن غيره . ومعلوم أن الجهاد

(١) التوبة (٩ م) : ٧٣ .
(٢) آل عمران (٣ م) : ١١٠ .

والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر هو أفضل الأعمال .

كما قال ﷺ : « رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد فى سبيل الله تعالى » (١) .

وفى الصحيح عنه ﷺ أنه قال : إن فى الجنة مائة درجة ما بين الدرجة إلى الدرجة كما بين السماء إلى الأرض أعدّها الله عز وجل للمجاهدين فى سبيله.

وقال ﷺ : « رباط يوم وليلة فى سبيل الله خير من صيام شهر وقيامه ومن مات مرابطاً مات مجاهداً وجرى عليه عمله وأجرى عليه رزقه من الجنة وأمن الفتنة والجهاد أفضل من الحج والعمرة (٢) .

كما قال تعالى : ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ * يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ * خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ (٣) .

والحمد لله رب العالمين وصلاته وسلامه على خير خلقه سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين *

(١) ورد فى صحيح البخارى ومسلم .
(٢) ورد فى صحيح البخارى ومسلم وسنن الترمذى والبيهقى .
(٣) التوبة : ١٩ ـ ٢١ .
* هذا آخر ما وجد فى المطبوع .

الرسالة الثانية



هذه نسخة كتاب كتبه الشيخ الإمام العالم العامل ، مفتى الفرق ، عماد السنة ، بركة الشام ، بقية السلف ، تقى الدين أبو العباس أحمد بن تيمية ـ رضى الله عنه ـ ونفع به إلى ملك (قبرس) (١) .

****

من أحمد بن تيمية ، إلى سرجوان عظيم أهل ملّته ، ومن تحيط به من عنايته من رؤساء الدين ، وعظماء الدنيا ، من القسيسين والرهبان والأمراء والكتاب وأتباعهم .

****

سلام على من اتبع الهدى ، فإنا نحمد الله الذى لا إله إلا هو إله آل إبراهيم وآل عمران ، ونسأله أن يصلى على عباده المصطفين ، وأنبيائه المرسلين ، ويخص بصلاته وسلامه أولى العزم الذين هم سادة الخلق ، وقادة الأمم ، الذين خصوا بأخذ الميثاق ، وهم: نوح، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى بن مريم ، ومحمد ، كما سمّاهم الله تعالى فى كتابه فقال :

﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِى إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِى إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾ (٢)

وقال : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا * لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ (٣) .

(١) بضم أوله وسكون ثانيه ثم ضم الراء وسين مهملة ، كلمة رومية وافقت من العربية القبرس النحاس الجيد عن أبى منصور ، وهى جزيرة فى بحر الروم وبأيديهم دورها مسيرة ستة عشر يوماً .
(٢) الشورى (٤٢ ك) : ١٣ .
(٣) الأحزاب (٣٣ م) : ٧ ، ٨ .

ونسأله أن يخصّ بشرائف صلواته وسلامه خاتم المرسلين وخطيبهم إذا وفدوا على ربهم ، وإمامهم إذا اجتمعوا ، شفيع الخلائق يوم القيامة ، نبى الرحمة ، ونبى الملحمة ، الجامع لمحاسن الأنبياء ، الذى بشّر به عبد الله وكلمته وروحه التى ألقاها إلى مريم ابنة عمران ، ذلك مسيح الهدى ، عيسى بن مريم ، الوجيه فى الدنيا والآخرة ، والمقرّب عند الله ، المبعوث بنعت الجمال والرحمة لما انحرف بنو إسرائيل فيما بعث به موسى عليه السلام من نعت الجلال والشدة ، وبعث الخاتم الجامع بنعت الكمال ، المشتمل على الشدة على الكفار ، والرحمة بالمؤمنين ، المحتوى على محاسن الشرائع والمناهج التى كانت قبله ، صلى الله عليهم أجمعين ، وعلى من اتبعهم إلى يوم القيامة .

أمـــا بعـــــد

●●● لمـــاذا خُـــلقت المخـــلوقـــات ؟

فإن الله خلق الخلائق بقدرته ، وأظهر فيهم آثار مشيئته وحكمته ورحمته ، وجعل المقصود الذى خـلقوا له فيما أمرهم به هو عبادته .. وأصل ذلك معرفته ومحبته ، فمن هداه الله صراطه المستقيم آتاه رحمة وعلماً ، فعرف ربه بأسمائه الحسنى ، وصفاته العُـلَى ، ورزقه الإنابة إليه ، والوجل لذكره ، والخشوع له ، فَـحَـنّ إليه حنين النسور إلى أوكارها ، وكلف بحبه الصبى وبأمه ، لا يعبد إلاّ إياه ، رغبة ورهبة ومحبة ، أخلص دينه لمن له الدنيا والآخرة ، ربّ الأولين والآخرين ، مالك يوم الدين خالق ما تتصورون وما لا تتصورون ، عالم الغيب والشهادة ، الذى أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ، لم يتخذ من دونه أنداداً كالذين اتخذوا من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبّاً لله ، ولم يُـشْرك بربه أحداً ، ولم يتخذ من دونه ولياً ولا شفيعاً ، ولا ملكاً ولا نبياً ولا صديقاً ، فإن كل من فى السموات والأرض آتى الرحمن عبداً ، لقد أحصاهم وعدّهم عدّاً ، وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً .

فهنالك اجتباه مولاه واصطفاه ، وآتاه رشده وهداه لما اختلف فيه من الحق بإذنه ، فإنه يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم .

وذلك أن الناس كانوا بعد آدم عليه السلام وقبل نوح عليه السلام على التوحيد والإخلاص ، كما كان عليه أبوهم آدم أبو البشر عليه السلام ، حتى ابتدعوا الشرك ، وعبادة الأوثان ، بدعة من تلقاء نفوسهم ، لم ينزل الله به كتاباً ، ولا أرسل بها رسولاً ، زينها الشيطان من جهة المقاييس الفاسدة ، والفلسفة الحائرة .

قوم منهم زعموا أن التماثيل طلاسم للكواكب السماوية ، والدرجات الفلكية ، والأرواح العلوية ، وقوم اتخذوها على صور من كان فيهم من الأنبياء والصالحين ، وقوم جعلوها للأرواح السفلية من الجن والشيطان ، وقوم على مذهب آخر .

وأكثرهم لرءوسهم مقلدون ، وعن سبيل الهدى ناكبون فابتعث الله نبيه نوحاً عليه السلام ، يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، وينهاهم عن عبادة ما سواه ، وإن زعموا أنهم يعبدونهم ليُقرِّبوهم إلى الله زلفى ، ويتخذوهم شفعاء ، فمكث فيهم ألف سنة إلاَّ خمسين عاماً .

فلمَّا أعلمه الله أنه لن يؤمن من قومك إلاَّ من قد آمن ، دعا عليهم ، فأغرق الله تعالى أهل الأرض بدعوته .

وجاءت الرسل بعده تترى ، إلى أن عمَّر الأرض دين الصابئة والمشركين لما كان النماردة والفراعنة ملوك الأرض شرقاً وغرباً ، فبعث الله تعالى إمام الحنفاء ، وأساس الملَّة الخالصة ، والكلمة الباقية ، إبراهيم خليل الرحمن ، فدعا الخلق من الشرك إلى الإخلاص ، ونهاهم عن عبادة الكواكب والأصنام ، قال : ﴿إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١) .

---

(١) الأنعام (٦ ك) : ٧٩

وقال لقومه : ﴿ قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ * أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الأَقْدَمُونَ * فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلاَّ رَبَّ الْعَالَمِينَ * الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ * وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ * وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ * وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ * وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴾ (١) .

وقال إبراهيم ومن معه لقومهم : ﴿ .. إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ ... ﴾ (٢) .

وجعل الله تعالى الأنبياء والمرسلين من أهل بيته ، وجعل لكل منهم خصائص ، ورفع بعضهم فوق بعض درجات ، وأنال كلاً منهم من الآيات ما آمن عليه البشر .

****

(١) الشعراء (٢٦ ك) : ٧٥ ـ ٨٢
(٢) الممتحنة (٦٠ م) : ٤

فجعل لموسى العصا حيّة ، حتى ابتلعت ما صنعت السحرة الفلاسفة من الحبال والعصي ، وكانت شيئاً كثيراً ، وفلق له البحر حتى صار يابساً ، والماء واقفاً حاجزاً بين اثنى عشر طريقاً على (عدد) [1] الأسباط ، وأرسل القُمَّل والضفادع والدم ، وظلل عليه وعلى قومه الغمام الأبيض يسير معهم ، وأنزل معهم صبيحة كل يوم المن والسلوى ، وإذا عطشوا ضرب موسى بعصاه الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً ، وعلم كل ناس مشربهم .

وبعث بعده أنبياء بنى إسرائيل ، فمنهم من أحيا الله على يده الموتى ، ومنهم من شفى الله على يده المرضى ، ومنهم من أطلعه على ما شاء من غيبه ، ومنهم من سخر له المخلوقات ، ومنهم من بعثه بأنواع المعجزات ، وهذا مما اتفق عليه جميع أهل الملل فى الكتب التى بأيدى اليهود والنصارى والنبوات التى عندهم ، وأخبار الأنبياء عليهم السلام ، مثل أشعياء وأرمياء ، ودانيال ، وحبقوق ، وداود ، وسليمان ، وغيرهم ، فى كتاب سفر الملوك وغيره من ذلك ما فيه معتبر .

وكانت بنو إسرائيل أمة قاسية عاصية ، تارة يعبدون الأصنام والأوثان (وتارة) [2] يعبدون الله ، وتارة يقتلون الأنبياء بغير الحق ، وتارة يستحلون محارم الله بأدنى الحيل ، فَلُعِنُوا أولاً على لسان داود ، وكان من خراب بيت المقدس ما هو معروف عندَ أهل الملل كلهم .

ثم بعث الله المسيح ابن مريم رسولاً قد خلت من قبله الرسل ، وجعله وأُمه آية للناس ، حيث خلقه من غير أب إظهاراً لكمال قدرته ، وشمول كلمته ، حيث قسم النوع الإنسانى الأقسام الأربعة : فخلق آدم من غير ذكر ولا أنثى ، وخلق زوجته من غير أنثى ، وخلق المسيح ابن مريم من غير ذكر ، وخلق سائرهم من الزوجين الذكر والأنثى .

(١ ، ٢) إضافة من المطبوع .

وآتى عبده المسيح من الآيات البينات ما جرت به سنته فأحيى الموتى ، وأبرأ الأكمه والأبرص ، وأنبأ الناس بما يأكلون وما يدخرون فى بيوتهم ، ودعا إلى الله وإلى عبادته ، متبعاً سنة إخوانه المرسلين ، مصدقاً لمن قبله ، ومبشراً بمن يأتى بعده .

****

وكان بنو إسرائيل قد عتوا وتمردوا ، فكان غالب أمره اللين والرحمة ، والعفو والصبر ، وجعل فى قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ، وجعل منهم قسيسين ورهبان ، فتفرق الناس فى المسيح عليه السلام ، ومن اتبعه من الحواريين عليهم السلام ثلاثة أحزاب :

* قوم كذّبوه ، وكفروا به ، وزعموا أنه ابن غَيَّه ، ورموا أُمَّه بالفرية ، ونسبوه إلى يوسف النجار ، وزعموا أن شريعة التوراة لم ينسخ منها شيء ، وأن الله لم ينسخ ما شرعه ، هذا بعد ما فعلوه بالأنبياء ، وما كان عليهم من الأحبار فى النجاسات والمطاعم .

* وقوم غلوا فيه ، فزعموا أنه الله ، أو ابن الله ، وأن اللاهوت تدرع بالناسوت ، وأن رب العالمين نزل أو نزل ابنه ليُصْلَب ويُقْتَل ، فداءً لخطيئة آدم عليه السلام، وجعلوا الإله الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، قد ولد واتخذ ولداً ، وأنه الإله حق حى عليم قدير ، صار ثلاثة جواهر ، ثلاثة أقانيم ، وأن الواحد منها أقنوم الكلمة هى العلم تدرعت الناسوت البشرى، مع العلم بأن أحدها لا يمكن انفصاله عن الآخر إذا جعلوا ثلاثة آلهة متباينين وذلك مما لا يقولونه .

* وتفرقوا فى التثليث والاتحاد تفرقاً ، وتشتتوا تشتيتاً لا يقربه نقل إلاَّ كلمات متشابهات فى الإنجيل وما قبله من الكتب ، وقد بينتها كلمات محكمات فى الإنجيل وما قبله من الكتب كلُّها تنطق بعبودية المسيح وعبادته لله تعالى وحده ، ودعائه وتضرعه ، ولما كان أصل الدين هو الإيمان بالله ورسله كما قال خاتم النبيين والمرسلين : « أُمِرْتُ أن أُقَاتِل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة » [1] .

وقال : « لا تطرونى كما أطرت النصارى عيسى بن مريم ، فإنما أنا

(١) مفتاح كنوز السنة : ١٠٧ .

عبد الله ، فقولوا عبد الله ورسوله » (١) . كان أهم أمر الدين توحيد الله ، والإقرار برسله ، ولهذا كان الصابئون والمشركون كالبراهمة ونحوهم من منكرى النبوات مشركين بالله فى إفراد عبادته ، وفاسدى الاعتقاد فى رسله .

فأرباب التثليث فى الوحدانية والاتحاد فى الرسالة قد دخل فى أصل دينه من الفساد ما هو بيِّن بفطرة الله التى فطر الناس عليها ، وكتب الله التى أنزلها ، كان عامة رؤسائهم من القسيسين والرهبان وما يدخل فيهم من المطارنة والأساقفة إذا صار الرجل فيهم فاضلاً مميزاً فإنه ينحل عن دينه ، ويصير منافقاً لملوك أهل دينه ، وعامتهم يرضى بالرياسة عليهم ، وبما يناله من الخطر ، كالذى كان ببيت المقدس ، الذى كان يقال له «ابن البورى» ، والذى كان بدمشق ، الذى كان يقال له «ابن القف» والذى كان بالقسطنطينية ، وهو الباب عندهم ، وخلق كثير من كبار الأبواب والمطارنة والأساقفة لما خاطبهم قوم من الفضلاء أقرُّوا لهم بأنهم ليسوا على عقيدة النصارى وإنما بقاؤهم على ما هم عليه لأجل العادة والرياسة ، ولبقاء الملوك ، والاعتناء على ملكهم وغناهم .

ولهذا تجد غالب فضلاتهم إنما همة أحدهم نوع من العلم الرياضى كالمنطق والهيئة والحساب والنجوم ، والطبيعى كالطب ومعرفة الأركان والتكلم فى الإلهى على طريقة الصابئة الفلاسفة الذين بعث إليهم إبراهيم عليه السلام .

قد نبذوا دين المسيح والرسل الذين قبله وبعده وراء ظهورهم وحفظوا رسوم الدين لأجل الملوك والعامة .

وأما الرهبان فأحدثوا من أنواع المكر والحيل بالعامة ما يظهر لكل عاقل ، حتى صنف العقلاء فى حيل الرهبان كتباً ، مثل النار التى كانت تصنع بقمامة ، يدهنون خيطاً دقيقاً بسندروس ، يلقون النار فيه بسرعة ، فينزل فيعتقد الناس أنها نزلت من السماء، ويأخذونها إلى البحر ، وهى من صنْعة الراهب ،

(١) مفتاح كنوز السنة : ٢٦٧ .

ويراه الناس عياناً ، قد اعترف هو وغيره أنهم يصنعونها ولذلك اتفق أهل الحق من جميع الطوائف على أنه لا تجوز عبادة الله تعالى بشيء ليس له حقيقة .

وقد يظن المنافقون أن ما يُـنْـقلَ عن المسيح وغيره من المعجزات ، إنما هو من جنس النار المصنوعة .

وكذلك حيلهم فى تعليق الصليب وفى بكاء التماثيل التى يصورونها على صور المسيح ونحو ذلك ، كل ذلك يعلم كل عاقل أنه إفك مفترى ، وأن جميع الأنبياء وصالحى عباد الله براء من كل زور وباطل وإفك ، وهذا كله من سحرة فرعون .

ثم إن هؤلاء عمدوا إلى الشريعة التى يعبدون الله بها ، فناقضوا الأولين من اليهود ، مع أنهم مأمورون بالتمسك بالتوراة إلاّ ما نسخه المسيح .

قصر أولئك فى الأنبياء حتى قتلوهم ، وغلا الآخرون حتى عبدوهم وعبدوا تماثيلهم ، وقال أولئك : إن الله لا يصلح له أن يغير ما أمر به فينسخه لا فى وقت آخر ، ولا على لسان نبى آخر . وقال هؤلاء : بل الأحبار والقسيسين يُـغَـيِّـرون ما شاءوا ، ويحرِّمون ما شاءوا ، وينسخون ما أرادوا ، ومن أذنب ذنباً وظفوا عليه ما رأوا من العبادات وغفروا له .

ومنهم من يزعم أنه ينفخ فى المرأة من روح القدس ، وقال أولئك : حُـرِّم علينا أشياء كثيرة ، وقال هؤلاء : ما بين البقة والفيل حلال ، كُـلْ ما شئت ودَعْ ما شئت ، وقال أولئك : النجاسات مغلظة حتى إن الحائض لا يقعد معها فى بيت ، ولا يُـؤكل معها ، وهؤلاء قالوا : ما عليك من شيء نجس ، والحواريون كانوا على شريعة التوراة .

ثم إن الصلاة إلى المشرق لم يأمر بها المسيح ولا الحواريون ، إنما ابتدعها قسطنطين أو نحوه ، وكذلك الصليب إنما ابتدعه قسطنطين برأيه ، وزعم أنه رآه ، وأما المسيح والحواريون فلم يأمروا بشيء من ذلك ، والدين الذى يتقرب العباد به إلى الله لا بدَّ أن يكون الله أمر به وشَـرَعَـه على ألسن رسله

وأنبيائه ، وإلا فالبدع كلها ضلالة ، وما عُبِـدَت الأوثان إلا بالبدع .

وكذلك إدخال الألحان فى الصلوات لم يأمر بها المسيح ولا الحواريون . وبالجملة فعامة أنواع العبادات والأعياد التى هم عليها لم ينزِّل الله بها كتاباً ، ولا بعث بها رسولاً ، لكن فيهم رأفة ورحمة . وهذا من دين الله ، بخلاف الأولين ، فإن فيهم قسوة ومقتاً ، وفيهم ضلال عن الحق ، وجهل بطريق الله تعالى .

ثم إن هاتين الأمتين تفرقت أحزاباً كثيرة فى أصل دينهم واعتقادهم فى معبودهم ، هذا يقول : إن جوهر اللاهوت والناسوت صار جوهراً واحداً ، وطبيعة واحدة ، وأقنوماً واحداً وهم اليعقوبية ، وهذا يقول : بل هما جوهران وطبيعتان ، وهم النسطورية ، وهذا يقول بالاتحاد من وجه دون وجه وهم الملكانية .

****

وقد آمن جماعات من علماء أهل الكتاب قديماً وحديثاً ، وهاجروا إلى الله ورسوله ، ووصفوا ما فى كتب الله من دلالات نبوة النبى خاتم المرسلين ، وما فى التوراة والإنجيل والزبور من مواضع لمن تدبرها ، وكذلك الحواريون ، فلما اختلف الأحزاب من بينهم هدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه .

فبعث النبى الذى بشر به المسيح ومن قبله من الأنبياء داعياً إلى ملّة إبراهيم ، ودين المرسلين من قبله وبعده ، وهو عبادة الله وحده لا شريك له ، وإخلاص الدين كله لله ، وطهّر الأرض من عبادة الأوثان ، ونزه الدين عن الشرك دقه وجله ، بعدما كانت الأصنام تُعْبَد فى أرض الشام وغيرها فى دولة بنى إسرائيل ودولة الذين قالوا إنا نصارى ، وأمر بالإيمان بجميع كتب الله من التوراة والإنجيل والزبور والفرقان ، وبجميع أنبيائه من آدم إلى محمد .

قال الله تعالى فى تنزيله :

﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ * فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴾ (١) .

وأمر الله ذلك الرسول بدعوة الخلق إلى توحيده بالعدل فقال تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا

(١) البقرة (٢ م) : ١٣٥ ـ ١٣٨

اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً ... ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ * وَلا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (٣) .

وأمره أن تكون صلاته وحجه إلى بيت الله الحرام الذى بناه خليله إبراهيم أبو الأنبياء ، وإمام الحنفاء ، وجعل أمته وسطاً على من عدلهم وجعل فيهم شيئاً من الإلهية وعبّدهم وجعلهم شفعاء ، ولم يجفوا جفاء من آذاهم واستخف بحرماتهم ، وأعرض عن طاعتهم ، بل عزروا الأنبياء ، أى : عظموهم ونصروهم وآمنوا بما جاءوا به وأطاعوهم واتبعوهم ، وائتمُّوا بهم ، وأحبُّوهم وأجلُّوهم ، ولم يعبدوا إلاَّ الله ، ولم يتكلوا عليه ، ولم يستعينوا إلا به ، مخلصين له الدين حنفاء .

وكذلك فى الشرائع قالوا : ما أمرنا الله به أطعناه ، وما نهانا عنه انتهينا ، وإذا نهانا عمَّا كان أحله كما نهى بنى إسرائيل كما كان أباحه ليعقوب ، أو أباح لنا ما كان حراماً كما أباح المسيح بعض الذى حرم الله على بنى إسرائيل سمعنا وأطعنا .

وأما غير رسل الله وأنبيائه فليس لهم أن يبدلوا دين الله ولا يبتدعوا فى الدين ما لم يأذن به الله والرسل ، إنما قالوا تبليغاً عن الله فإنه سبحانه له الخلق والأمر ، فإنه كما لا يخلق غيره لا يأمر غيره : ﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ

---

(١) آل عمران (٣ م) : ٦٤
(٢) الشورى (٤٢ ك) : ٥١
(٣) آل عمران (٣ م) : ٧٩ ، ٨٠

تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ (١) .

وتوسطت هذه الأمة فى الطهارة والنجاسة والحلال والحرام والأخلاق ، فلم يجردوا الشك كما فعله الأولون ، ولم يجردوا الرحمة والرأفة كما فعله الآخرون ، بل عاملوا الله بالشدة وعاملوا أولياءه بالرأفة والرحمة . قالوا فى المسيح ما قاله الله سبحانه وتعالى وأنبياؤه وما قاله المسيح والحواريون لا ما ابتدعه العالون والجافون .

وقد أخبر الحواريون عن خاتم المرسلين أنه يُبْعَث من أرض اليمن ، وأنه يبعث بقضيب الأدب وهو السيف ، وأخبر المسيح أنه يجىء بالبيان والتأويل ، وأن المسيح جاء بالأمثال ، وهذا باب يطول شرحه .

****

(١) يوسف (١٢ ك) : ٤٠

الدين النصيحة :

وإنما نبّه الداعى العظيم ملّته وأهله لما بلغنى ما عنده من الدماثة والفضل ومحبة العلم ، وطلب المذاكرة . ورأيت الشيخ أبا العباس القدس شاكراً من الملك من رفقه ولطفه وإقباله عليه ، وشاكراً من القسيسين ونحوهم ، ونحن قوم نحب الخير لكل واحد ، ونحب أن الله يجمع لكم خير الدنيا والآخرة ، فإن أعظم ما عند الله نصيحة خَلْقه ، وبذلك بعث الله تعالى الأنبياء والمرسلين .

فلا نصيحة أعظم من النصيحة فيما بين الله وبين عبده ، فإنه لا بدّ للعبد من لقاء الله ، ولا بد أن الله يحاسب عبده ، كما قال : ﴿ فَلَنَسْئَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْئَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴾ (١) .

فأمّا الدنيا فأمرها حقير ، وكثيرها صغير ، وغاية أمرها يعود إلى الرياسة والمال ، وغاية الرئيس أن يكون كفرعون الذى أغرقه الله فى اليمّ انتقاماً منه ، وغاية ذى المال أن يكون كقارون الذى خسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة لـمّا آذى نبى الله موسى .

وهذه وصايا المسيح ومن قبله وبعده من المرسلين كلها تأمر بعبادة الله ، والتجرد للدار الآخرة ، والإعراض عن زهرة الدنيا ، فلما كان أمر الدنيا خسيساً رأيت أن أعظم ما يُهْدَى لعظيم قومه المفاتحة فى العلم والدين ، والمذاكرة فيما يقرّب إلى الله ، والكلام فى الفروع مبنى على الأصول ، وأنتم تعلمون أن دين الله لا يكون بهوى النفس ، ولا بعادات الآباء وأهل المدينة ، وإنما ينظر العاقل فيما جاءت به الرسل ، ويميز ما اتفق الناس عليه وما اختلفوا فيه، ويعامل الله بينه وبين الله بالاعتقاد الصحيح ، والعمل الصالح ، وإن كان لا يمكن الإنسان أن يُظْهِر كل ما فى نفسه لكل أحد فينتفع هو بذلك العذر ،

(١) الأعراف (٧ ك) : ٦

والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم .

فإن رأيت من الـمَلك رغبة فى العلم والخير كاتبته وجاوبته عن مسائل يسألها ، وقد كنت خَطر لى أن أجيء إلى قبرس لمصالح فى الدين والدنيا ، لكن إذا رأيت من الملك ما فيه رضا الله ورسوله عاملته بما يقتضيه عمله ، فإن الـمَلك وقومه يعلمون أن الله قد أظهر من معجزات رسله عامة ومحمد خاصة ما أيَّـدَ به دينه ، وأذلَّ به الكفار والمنافقين .

****

ولما قدم مقدم المغول «غازان» وأتباعه إلى دمشق وكان قد انتسب إلى الإسلام ، لكن لم يرض الله ورسوله والمؤمنون بما فعلوه حيث لم يلتزموا دين الله ، وقد اجتمعت به وبأمرائه وجرى لنا معهم فصول يطول شرحها لا بد أن تكون قد بلغت الملك ، فأذله الله هو وجنوده لنا ، حتى بقينا نضربهم بأيدينا ونصرخ فيهم بأصواتنا ، وكان معهم صاحب سيس مثل أصغر غلام يكون ، حتى إن بعض المؤذنين الذين معنا (كان) [1] يصرخ فيه ويشتمه ، وهو لا يستجرئ أن يجاوبه ، حتى إن وزراء غازان ذكروا لى ما هم عليه من فساد النية .

وكنت حاضراً لما جاءت رسلكم إليه ناحية الساحل ، وأخبرنى التتار بالأمر الذى أراده صاحب سيس أن يدخل بينكم وبينه ، حيث منّاكم بالغرور ، وكان التتار من أعظم الناس شتيمة لصاحب سيس ، وإهانة له ، ومع هذا فإنا كنا نعامل أهل ملّتكم بالإحسان إليهم والذبّ عليهم .

دفاع المسلمين عن أسرى النصارى :

وقد علم النصارى كلهم أنى لما خاطبت التتار فى إطلاق الأسارى وأطلقهم «غازان» و «قطلوشاه» ، وخاطبت مولاه فيهم ، فسمح بإطلاق المسلمين وقال : ولكن معنا نصارى أخذناهم من القدس ، فهؤلاء ما يطلقون ، فقلت له : بل جميع من معك من اليهود والنصارى ، الذين هم أهل ذمتنا ، فافْتَكَّهم ولا تدع أسيراً لا من أهل الملة ولا من أهل الذمة . وأطلقنا من النصارى من شاء الله .

فهذا عملنا وإحساننا ، والجزاء على الله ، وكذلك السبى الذى بأيدينا من النصارى ، يعلم كل أحد بإحساننا ورحمتنا ورأفتنا بهم ، كما وصّانا خاتم

(1) إضافة من المطبوع .

المرسلين حيث قال فى آخر حياته : « الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم » قال تعالى : ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ (١) .

ومع خضوع التتار لهذه الملة ، وانتسابهم إلى هذه الأمة فلم نخادعهم ، ولم ننافقهم ، بل بينًا لهم ما هم عليه من الفساد ، والخروج عن الإسلام الموجب لجهادهم .

جنود الشام ومصر ضد التتار :

وإن جنود الله المؤيدة ، وعساكره المنصورة المستقرة بالديار الشامية والمصرية ما زالت منصورة على من ناوأها ، مظفرة على من عاداها ، وإنه فى هذه المرة لما شاع عند العامة أن التتار مسلمون ، أمسك العساكر عن قتالهم ، فقتل منهم بضعة عشر ألفاً ، ولم يقتل من جميع المسلمين مائتان. فلما انصرف العسكر إلى مصر، وبلغه ما عليه هذه الطائفة الملعونة من الفساد ، وعدم الدين ، خرجت جنود الله والأرض منها تميد ، قد ملأت السهل والجبل ، فى كثرة وقوة وعدة وإيمان ، قد بهرت العقول والألباب مؤيدة بملائكة الله التى ما زال الله يهديها للأمة الحنيفة المخلصة لباريها ، فانهزم العدو بين يديها .

ثم أقبل العدو فى العام الثانى ، فانتظره المسلمون ليقدم فامتلأ قلبه رعباً ، وعذّبه الله بأنواع العذاب ، فأهلك النفوس والخيل ، فانصرف خاسئاً وهو حسير ، وصدق الله وعده ، ونصر عبده ، وهو الآن فى البلاء العظيم ، والتعكيس الشديد ، والبلاء الذى أحاطه الله به ، والإسلام فى عز متزايد وخير.

وقد قال رسول الله ﷺ : **« إن الله يَبعْث لهذه الأمة فى رأس كل مائة سنة من يدبر لها أمر دينها »** (٢) .

وهذا الذى فى إقبال ، وأنا ناصح للملك وأصحابه والله الذى لا إله إلا هو الذى أنزل التوراة والإنجيل والقرآن .

---

(١) الإنسان (٧٦ م) : ٨ .
(٢) ورد فى صحيح البخارى ومسلم وسنن الترمذى وابن ماجه .

وفد نجران والمباهلة :

ويعلم الملك أن وفد نجران كانوا نصارى كلهم ، وفيهم الأسقف وغيره ، لما قدموا على النبى ﷺ ، وناظروه . فلما قامت عليهم الحجة جعلوا يراوغون ، فأمر الله نبيه أن يدعوهم إلى المباهلة كما قال : ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ (١) .

فلما ذكر النبى ﷺ لهم ذلك ، اشتوروا بينهم فقالوا : تعلمون أنه نبى ، وأنه ما باهل أحد نبياً فأفلح . فأدوا إليه الجزية ، ودخلوا فى الذمة ، وامتنعوا من المباهلة .

الرسول وملوك النصارى :

وكذلك بعث رسول الله ﷺ كتابه إلى قيصر الذى كان ملك النصارى بالشام والبحر وإلى قسطنطينية وغيرها ، وكان فاضلاً ، فلمَّا قرأ كتابه ، وسأل عن علامته ، عرف أنه النبى الذى بشر به المسيح وهو الذى كان الله وعد به إبراهيم فى ابنه إسماعيل ، وجعل يدعو قومه النصارى إلى متابعته ، وأكرم كتابه ، وقبَّله ، ووضعه على عينيه، وقال : وددت أن أخلص إليه حتى أغسل قدميه ، ولولا ما أنا فيه من الملك لذهبت إليه .

وأما النجاشى ملك الحبشة النصرانى فإنه لما بلغه خبر النبى ﷺ من أصحابه الذين هاجروا إليه ، آمن به وصدقه ، وبعث إليه ابنه وأصحابه مهاجرين ، وصلى النبى ﷺ عليه لما مات ، ولما سمع سورة ﴿كهيعص﴾ بكى ، ولما أخبروه عما يقوله فى المسيح قال : « والله ما يزيد عيسى على مثل العود » (٢) . وقال : « إن هذا والذى جاء به موسى ليخرجان من مشكاة واحدة » (٣) .

---

(١) آل عمران (٣ م) : ٦١ .

(٢) انظر هذه الأحداث فى تاريخ الرسل والملوك للطبرى .

(٣) انظر مروج الذهب للمسعودى .

وكانت سيرة النبى ﷺ : أن من آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله من النصارى صار من أمته ، له ما لهم ، وعليه ما عليهم ، وله أجران : أجر على إيمانه بالمسيح ، وأجر على إيمانه بمحمد . ومن لم يؤمن به من جميع الأمم فإن الله أمر بقتالهم في كتابه فقال : ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ (١) .

الكذب على الله وعلى شريعة الله :

فمن كان لا يؤمن بالله ، بل يسب الله ويشتمه ويقول : إنه ثالث ثلاثة ، وأنه صُلبَ ، ولا يؤمن برسله ، بل يزعم أن الذى حمل وولد ، وكان يأكل ويشرب ويتغوط ، وينام ، هو الله ، أو ابن الله ، وأن الله وابنه حل فيه أو تدرعه ، ويجحد ما جاء به محمد خاتم المرسلين ، ونصوص التوراة والإنجيل ، فإن بين الأناجيل الأربعة من التناقض والاختلاف ما يبين للعاقل ما وقع فيها من الاختلاف .

ولا يدين دين الله ، دين الحق ، وهو الإقرار بما أمر الله به وأوجبه من عبادته وطاعته ، ولا يحرِّم ما حرَّم الله ورسوله من الدم والميتة والخنزير ، الذى ما زال حراماً من لدن آدم إلى محمد ﷺ ، ما أباحه أحد قط .

بل علماء النصارى يعلمون أنه محرَّم ، وما يمنع بعضهم من إظهار ذلك إلاَّ الرغبة والرهبة ، وبعضهم يمنعه العناد والعادة ونحو ذلك .

ولا يؤمنون بالله واليوم الآخر ، ولأن عامتهم كانوا يقرُّون بقيامة الأبدان ، لكنهم لا يقرُّون بما أخبر الله به من الأكل والشرب واللباس ، والنكاح والنعيم والعذاب فى الجنة والنار ، بل عامة ما يقرُّون به من التنعم : السماع والشم .

ومنهم متفلسفة ينكرون معاد الأجسام ، وأكثر علمائهم زنادقة يضمرون ذلك ، ويسخرون بعوامهم ، لاسيما بالنساء والمترهبين منهم لضعف العقول .

(١) التوبة (٩ م) : ٢٩ .

فمن هذا حاله فقد أمر الله ورسوله بجهاده حتى يدخل فى دين الله ، أو يؤدى الجزية ، فهذا دين محمد .

ثم إن المسيح صلوات الله عليه لم يأمر بجهاد ، لاسيما بجهاد الأمة الحنيفية ، ولا الحواريون بعده .

معاملة الأسرى :

فيأيها الملك ، كيف تستحل سفك الدماء ، وسبى الحرم ، وأخذ الأموال بغير حجة من الله ورسوله ، ثم أما يعلم الملك أن بأيدينا من بلاد النصارى أهل الذمة والملك ما لا يُحْصى عدده إلاّ الله ، ومعاملتنا فيهم ، فكيف تعاملون أسرى المسلمين بهذه المعاملات التى لا يرضى بها ذو مروءة ولا ذو دين؟!

لست أقول عن الملك وأهل بيته ولا أخوته ، فإن أبا العباس شاكر من الملك ومن أهل بيته كثيراً ، معترف بما فعلوه معه من الجميل . وإنما أقول عن عموم الرعية ، أليس الأسرى فى رعية الملك؟ أليست عهود المسيح وسائر الأنبياء توصى بالبر والإحسان فأين ذلك؟

ثم إن كثيراً منهم إنما أُخذُوا غدراً ، والغدر حرام فى جميع الملل والشرائع والسياسات ، تستحلون أن تستولوا على من أُخذَ غدراً ، فتأمنون مع هذا أن يقابلكم المسلمون ببعض هذا ، ويكونوا معذورينَ ، والله ناصرهم ومعينهم ، لا سيما فى هذه الأوقات .

قوة المسلمين وعددهم :

والأمة قد احتدت للجهاد ، واستعدت للجلاء ، ورغب الصالحون وأولياء الرحمن فى طاعته ، وقد تولى الثغور الساحلية أمراء ذوو بأس شديد ، وقد ظهر بعضهم أثرهم ، وهم فى ازدياد.

ثم عند المسلمين من الرجال الفداوية الذين يغتالون الملوك فى فرشها ، وعلى أفراسها ، قد بلغ الملِك خبرهم قديماً وحديثاً ، وفيهم الصالحون الذين لا ترد

دعواتهم ، ولا تخيب طلباتهم ، الذين يغضب الرب لغضبهم ، ويرضى لرضائهم .

وهؤلاء التتار مع كثرتهم ، وانتسابهم إلى المسلمين ، لما غضب المسلمون عليهم ، وتوجهوا إليهم ، أحاط بهم من البلاء ما يعظم عن الوصف ، فكيف يحسن أيها الملك بقوم يجاورون المسلمين من أكثر الجهات أن يعاملوهم هذه المعاملة التى لا يرضاها عاقل ولا مسلم ، ولا معاند .

هذا وأنت تعلم أن المسلمين لا ذنب لهم أصلاً ، بل هم المحمودون على ما فعلوا ، فإن الذى أطبقت العقلاء على الإقرار بفضله هو دينهم ، حتى الفلاسفة أجمعوا على أنه لم يطرق العالم دين أفضل من هذا الدين . وقد قامت البراهين على وجوب متابعته .

ثم إن هذه البلاد ما زالت بأيديهم الساحل ، بل قبرس أيضاً فقد فتحوها وداموا يحكمون فيها أكثر من ثلاثمائة سنة ، وقد وعدهم النبى ﷺ أنهم لا يزالوا ظاهرين إلى يوم القيامة .

فما يؤمن الملك أن هؤلاء الأسرى المظلومين ببلدته ينتقم لهم رب العباد والبلاد ، كما ينتقم لغيرهم ، وما يؤمنه أن تأخذ المسلمين حمية إسلامية ينالون فيها ما نالوا من غيرها وغيرها .

ونحن إذا رأينا من الملك وأصحابه ما يصلح عاملناهم بالحسنى، وإلاَّ فمن بغى عليه لينصرنه الله ، وأنت تعلم أن ذلك من أيسر الأمور على المسلمين . إنما أنا ما غرضى الساعة إلاَّ مخاطبتكم بالتى هى أحسن ، والمعاونة على النظر فى العلم واتباع الحق ، وفعل ما يجب .

دعـــوة إلــى الإســلام :

فإن كان الملك من يثق بعقله ودينه فلنبحث معه عن أصول العلم وحقائق الأديان ، ولا يرضى أن يكون من هؤلاء النصارى الذين لا يسمعون ولا يعقلون إن هم إلاَّ كالأنعام بل هم أضلُّ سبيلاً .

وأصل ذلك أن تستعين بالله ، وتسأله الهداية ، وتقول : اللهم أرنى الحق حقاً وأعنى على اتّباعه ، وأرنى الباطل باطلاً وأعنى على اجتنابه ، ولا تجعلنى مشتبهاً على فأتبع الهوى ، وقل : اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ، اللهم اهدنى لما اختلفت فيه من الحق بإذنك ، إنك تهدى من تشاء إلى صراط مستقيم .

والكتاب لا يحتمل البسط أكثر من هذا ، لكن ما أريد للملك إلاّ ما ينفعه فى الدنيا والآخرة ، وهما سببان :

أحدهما : له خاصة ، وهو معرفته بالدين ، وانكشاف الحق وزوال الشبهة ، وعبادة الله كما أمر ، فهذا خير له من ملك الدنيا بحذافيرها ، وهو الذى بعث به المسيح ، وعلمه الحواريون .

والثانى : وهو للمسلمين ، وهو : مساعدته للأسرى الذين فى بلاده ، وإحسانه إليهم ، وأمر رعيته بالإحسان إليهم ، والمعاونة لنا على خلاصهم ، فإن فى الإساءة إليهم درك على الملك فى دينه ودين الله تعالى .

ومن العجب كل العجب أنْ أَسَرَ النصارى قوماً غدراً أو غير غدرٍ لم يقاتلوهم ، فكلما كثر الأسرى عندكم كان أعظم لغضب الله وغضب عباده المؤمنين .

وأنت تعلم أنّا كنا نسعى فى تخليص أسرى النصارى من أيدى التتار وهم أقرب إلى المسلمين ، فكيف يمكن السكوت عن أسرى المسلمين فى قبرس ، لا سيما وعامة هؤلاء الأسرى قوم فقراء ضعفاء ليس لهم من يسعى فيهم . وهذا أبو العباس مع أنه من عباد المسلمين ، وله عبادة وفقه ومشيخة ، ومع هذا ما كاد يحصل فداؤه إلاّ بالشدة .

وأما دين الإسلام فيأمرنا أن نعين الفقير والضعيف ، فالملك أحق أن يساعد على ذلك من وجوه كثيرة ، لا سيما والمسيح يوصى بذلك فى الإنجيل ، وأمر

بالرحمة العامة ، والخير الشامل ، كالمطر والشمس ، والملك وأصحابه إذا أعانونا على تخليص الأسرى والإحسان إليهم ، كان الحظ الأوفر له فى الآخرة والدنيا، أما فى الآخرة فإن الله يثيب على ذلك ، ويأجر عليه ، هذا لا ريب فيه عند العلماء المستجيبين الذين لا يتبعون الهوى ، بل كان من اتقى الله وأنصف علم أنهم أُسروا بغير حق لا سيما من أخذ غدراً ، والله تعالى لم يأمر ، ولا المسيح أمر ولاَ أحد من الحواريين ولا من اتبع المسيح على دينه لا يأسر أهل ملّة إبراهيم الخليل عليه السلام ، ولا يقتلهم ، فكيف وعامة النصارى يقرُّون بأن محمداً رسول الأميين ، فكيف يجوز أن يقاتل أهل دين الله الذين اتبعوا رسولهم .

فإن قال قائل : هم قاتلونا أول مرة . قيل : هذا باطل . فمن غُدرَ به ، وبدأتموه بالقتال ، وأما من بدأكم منهم فهو معذور ، لأن الله أمره بذلك ورسله ، بل المسيح والحواريون أُخذ عليهم العهد والميثاق بذلك ، ولا يستوى من عمل بطاعة الله ورسوله ، ودَعا إلى عبادته ودينه ، وأقرَّ بجميع الكتب والرسل ، وقاتل لتكون كلمة الله هى العليا ، وليكون الدين كله لله ، ومن قاتل فى هوى نفسه وهوى شيطانه ، على خلاف الله ورسوله .

فإذا كان فى النصارى من الملوك والقسيسين والرهبان والعامة من له المزية على غيره فى المعرفة والدين فيعرف بعض الحق ، وينقاد لكثير منه ، ويعرف من قدر الإسلام وأهله ما يجهله غيره ، فيعاملهم معاملة تكون نافعة له فى الدنيا والآخرة .

ثم فى ثواب العتق وفكاك الأسر من كلام الأنبياء والصديقين ما هو معروف لمن طلبه ، فمهما عمل الملك معهم وجد ثمرته . أما الدنيا فإن المسلم أقدر على المكافأة بالخير والشر من كل أحد ، ومن حاربوه فالويل لهم كل الويل .

والملك لا بد أن يكون قد سمع السير ، وبلغه أن المسلمين الفقراء القليل منهم يغلب أضعافاً مضاعفة من النصارى وغيرهم ، فكيف إذا كانوا هم أضعافهم . وقد بلغه الملاحم المشهورة فى قديم الدهر ، وحديثه ، مثل أربعين

ألفاً يغلبون أكثر من أربعمائة ألف أكثرهم فارسى . وما زال المرابطون بالثغور مع قلتهم ، واشتغال ملوك الإسلام عنهم يدخلون إلى بلاد النصارى ، فكيف وقد منّ الله على المسلمين باجتماع كلمتهم ، وكثرة جيوشهم ، وبأس مقدميهم ، وعلو همتهم ، ورغبتهم فيما يقرب إلى الله ، واعتقادهم أن الجهاد أفضل أعمالهم ، وتصديقهم بما وعدهم . فهم حيث قال : « يعطى الشهيد ثلاث خصال : يغفر له بأول قطرة من دمه ، فيرى مقعده من الجنة ، ويكسى حلة الإيمان ، ويزوج من الحور العين ، ويوقى فتنة القبر ، ويؤمن الفزع الأكبر يوم القيامة » .

ثم فى بلادهم من النصارى أضعاف من بقبرس من الأسرى المسلمين ، فإن فيهم من رءوس النصارى من ليس فى البحر مثلهم إلاّ قليل . وأما أسرى المسلمين فليس فيهم من يحتاج إليه المسلمون وينتفعون به ، وإنما نسعى فى تخليصهم لأجل الله تعالى، رحمة لهم ، وتقرباً إليه يوم يجزى المتصدقين ، ولا يضيع أجر المحسنين .

وأبو العباس حامل هذا الكتاب قد أثبت من محاسن الملك عندنا واستعطف قلوبنا عليه فأخلصنا النية فى مناصحة الملك وأصحابه ، وطلب الخير لهم ، فإن أمة محمد ﷺ خير أمة أخرجت للناس ، يريدون للخلق خير الدنيا والآخرة ، ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، ويدعونهم إلى الله ، ويعينونهم على مصالح دينهم ودنياهم .

دفع الشبهات عن الإسلام :

فإن كان الملك قد بلغه بعض الأخبار التى فيها طعن على بعضهم ، أو طعن فى دينهم ، فإمّا أن يكون الخبر كاذباً ، أو ما فهم الناقل كيف صورة الحال ، فإن كان صادقاً عدد بعضهم بنوع من المعاصى أو الفواحش أو الظلم فهذا فى كل أمة ، والذى يوجد فى المسلمين من الشر أقل بكثير مما يوجد فى غيرهم . والذى يوجد فيهم من الخير لا يوجد مثله فى غيرهم .

فأنت وكل عاقل يعلمون أن النصارى خارجون عن وصايا المسيح والحواريين ورسائل بطرس وغيره من القديسين . وأن أكثر ما معهم من النصرانية شرب الخمور ، وأكل الخنزير ، وتعظيم الصليب ، ونواميس مبتدعة ما أنزل الله بها من سلطان . وأن بعضهم نسخ ما قد حرمته الشريعة النصرانية .

هذا فيما يعرفون ، وأمّا مخالفتهم لما لا يقرُّون به فكلهم داخل فى ذلك ، وقد ثبت عندنا عن الصادق المصدوق رسول الله ﷺ أن المسيح عيسى بن مريم ينْزِل بالمنارة البيضاء فى دمشق واضعاً يديه على منكبى ملكين ، فيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ، ولا يقتل من أحد إلاَّ أعداء الإسلام ، ويقتل مسيخ الضلالة الأعور الدجال الذى تتبعه اليهود ، وينتصر المسلمون على اليهود حتى يقول الحجر والشجر : يا مسلم ، هذا يهودى فاقتله، وينتقم الله للمسيح ابن مريم عليه السلام ـ مسيح الهدى ـ من اليهود لما آذوه وكذبوه لما بعث إليهم .

وأما ما عندنا فى أمر النصارى ، وأوالة المسلمين عليهم وتسليطهم عليهم فهذا لا أخبر به ذلك ، لئلا يضيق صدره ، ولكن الذى أقوله : إن كل من أسلف إلى المسلمين خيراً كانت عاقبته معهم إلى حسنة بحسب ما فعله من الخير: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ (١) .

والذى نختم به الكتاب الوصية بالشيخ أبى العباس ، والرفق بمن عنده من أهل القرآن ، والامتناع عن تغيير أحد عن دينه ، وسوف يرى الملك عاقبة ذلك ، ونحن نجزى الملك على ذلك أضعاف ما فى نفسه .

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم .

****

(١) الزلزلة (٩٩ م) : ٧ ، ٨ .

●●● أحاديث مختارة في المنافقين

ثنا إبراهيم بن الحجاج [1] قال : ثنا عبد الوارث بن سعيد [2] قال : ثنا الوليد بن سليمان [3] ، عن على بن يزيد [4] عن القاسم [5]، عن هزيل بن شرحبيل [6]، عن أبى موسى الأشعرى، عن النبى ﷺ قال : « **إن بين يدى الساعة فتناً يصبح الرجل فيها مؤمناً ويُمسى كافراً ، ويمسى مؤمناً ويصبح كافراً** » [7] .

ثنا محمد بن مصطفى الحمصى [8] قال : ثنا الوليد بن مسلم [9] قال ثنا الوليد بن سليمان ، عن على بن يزيد ، عن القاسم عن أبى أُمامة ، عن

---

(١) هو إبراهيم بن الحجاج بن زيد السامى بمهملة أبو إسحاق الناجى بنون البصرى أحد علماء الحديث، روى عن الحمادين ، وأبان بن العطار ، وعنه خلق كثير قال ابن حبان : فى الثقات مات سنة ٢٣١هـ .

انظر : خلاصة تذهيب الكمال : ١٦ .

(٢) هو عبد الوارث بن سعيد بن ذكوان التميمى العنبرى مولاهم أبو عبيدة البصرى ، روى عن أيوب السختيانى ، وأبى التياح وداود بن أبى هند ، وعنه ابنه عبد الصمد وأبو عاصم وعفان ، مات بالبصرة سنة ١٨٠هـ .

انظر: تذكرة الحفاظ ٢٥٨/١ ، تهذيب التهذيب ٤٤١/٦ ، العبر ٢٧٦/١ ، ميزان الاعتدال ٦٧٧/٢ ، خلاصة تذهيب الكمال ٢٠٩ ، طبقات الحفاظ ١١٠ .

(٣) هو الوليد بن سليمان بن أبى السائب القرشى مولاهم أبو العباس الدمشقى ، روى عن رجاء بن حيوة ونافع ، وعنه ابنه عبد العزيز والوليد بن مسلم ، ثقة .

انظر : خلاصة تذهيب الكمال ٤١٦ .

(٤) على بن يزيد أبى هلال الألهانى الدمشقى ، روى عن القاسم بن عبد الرحمن ، وعنه عبيد الله بن زحر . قال البخاري عنه : منكر الحديث .

• (٥) هو القاسم بن عبد الرحمن مولى بنى أمية أبو عبد الرحمن الدمشقى ، ثقة ، مات سنة ١١٢هـ .

انظر : خلاصة تذهيب الكمال ٣١٢ .

(٦) هو هزيل بن شرحبيل الأزدى الكوفى . روى عن أخيه أرقم وابن مسعود ، وعنه الشعبى وطلحة بن مصرف ثقة .

انظر : خلاصة تذهيب الكمال ٤١٤ .

(٧) ورد فى مفتاح كنوز السنة .

(٨) له ترجمة وافية فى تذكرة الحفاظ .

(٩) هو أبو العباس الوليد بن مسلم الدمشقى القرشى مولاهم ، روى عن الأوزاعى ومالك وابن جريج والثورى وخلق ، وعنه الليث أحد شيوخه وابن وهب وأحمد بن حنبل وابن راهويه وابن المدينى ، مات سنة ١٩٤ هـ .

النبى ﷺ قال : « **ستكون فتن يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسى كافراً ، إلاَّ من خشاه الله عز وجل بالعلم** » * .

ثنا عبد الرحمن بن إبراهيم (١) والوليد بن عتبة (٢) الدمشقيان قالا حدثنا الوليد بن مسلم قال : ثنا سعيد بن عبد العزيز (٣) وعبد الغفار بن إسماعيل (٤)، عن إسماعيل بن عبيد الله (٥) ، أنه سمع أبا عبد الله الأشعرى يقول : سمع أبا الدرداء يقول : قال رسول الله ﷺ : « **ليكفرن أقوام بعد إيمانهم، فبلغ ذلك أبا الدرداء ، فأتاه فقال** : يا رسول الله ، إنك قلت : ليكفرن قوم بعد إيمانهم ؟ **قال : نعم ، ولست منهم** » ** .

ثنا عثمان بن أبى شيبة (٦) قال : ثنا فضيل بن عياض (٧) ، عن

---

* ورد فى مفتاح كنوز السنة .

(١) هو عبد الرحمن بن إبراهيم بن عمرو بن ميمون الأموى مولى آل عثمان أبو سعيد الدمشقى القاضى دحيم الحافظ ، روى عن معروف الخياط التابعى وابن عيينة والوليد بن مسلم ، ثقة ، ولد سنة ١٧٠ هـ ومات سنة ٢٤٥ هـ .

(٢) هو الوليد بن عتبة الأشجعى أبو العباس الدمشقى المقرى ، روى عن بقية والوليد بن مسلم ، وثقه محمد بن عوف مات سنة ٢٤٠ هـ .

(٣) هو أبو محمد الدمشقى سعيد بن عبد العزيز بن أبى يحيى التنوخى الفقيه ، روى عن الزهرى ومكحول وقتادة ونافع وعطاء وخلق ، وعنه ابن المبارك ووكيع وابن مهدى وأبو مسهر ، مات سنة ١٦٧ هـ .

انظر : تذكرة الحفاظ ٢١٩/١ ، شذرات الذهب ٢٦٣/١ ، طبقات الفقهاء ٧٦ ، طبقات القراء لابن الجزرى ٣٠٧/١ ، العبر ٢٥٠/١ ، ميزان الاعتدال ١٤٩/٢ .

(٤) له ترجمة فى خلاصة تذهيب الكمال .

(٥) هو إسماعيل بن عبيد الله بن أبى المهاجر المخزومى مولاهم أبو عبد الحميد الدمشقى أمير أفريقية ، روى عن المسيب بن يزيد وأم الدرداء ، وعنه ربيعة بن يزيد والأوزاعى ، ثقة ، مات سنة ١٣١ هـ .

انظر : خلاصة تذهيب الكمال ٣٥ .

** ورد فى صحيح البخارى ومسلم وسنن الترمذى .

(٦) هو عثمان بن أبى شيبة محمد بن إبراهيم العبسى أبو الحسن الكوفى ، روى عن شريك وهشيم وابن المبارك ، وعنه عبد الله بن أحمد والبخارى ومسلم وأبو داود والنسائى وابن ماجه والبغوى ، وصنف المسند والتفسير ، مات سنة ٢٣٩ هـ .

انظر : ميزان الاعتدال ، ٣٥/٣ ، النجوم الزاهرة ٣٠١/٢ ، تاريخ بغداد ٢٣٢/١١ ، تذكرة الحفاظ ٤٤٤/٢ .

(٧) هو الفضيل بن عياض بن مسعود التميمى اليربوعى أبو على الزاهد أحد العباد ، روى عن الأعمش ومنصور وجعفر الصادق وسليمان التيمى وحميد الطويل ويحيى الأنصارى ، وعنه الشافعى والسفيانان وابن المبارك ويحيى القطان وبشر الحافى والسرى السقطى ، مات سنة ١٨٧ هـ .

الأعمش[1] عن خيثمة [2] عن عبد الله بن عمرو قال: « يأتى على الناس زمان يجتمعون فى مساجدهم ليس فيهم مؤمن » * .

ثنا عبيد الله بن معاذ [3] قال : ثنا أبى قال : ثنا شعبة [4] عن سليمان [5] عن خيثمة ، عن عبد الله بن عمرو قال : « ليأتين على الناس زمان يجتمعون فى مساجدهم ليس فيهم مؤمن » ** .

ثنا محمد بن عبد الأعلى [6] قال : ثنا خالد بن الحارث [7] قال : ثنا شعبة، عن سليمان ، عن خيثمة ، عن عبد الله بن عمرو أنه قال : « **ليأتين على الناس زمان يجتمعون فى المساجد وما فيهم مؤمن** » * .

---

(١) هو سليمان بن مهران الأعمش الأسدى الكاهلى مولاهم أبو محمد الكوفى ، روى عن عبد الله بن أبى أوفى وزيد بن وهب وأبى وائل وزر بن حبيش ومجاهد ، وعنه أبو حنيفة وأبو إسحاق السبيعى وشعبة والسفيانان ، ثقة ، مات سنة ١٤٨ هـ .

انظر : لسان الميزان ٥٦٩/٦ ، المعارف ٤٨٩ ، ميزان الاعتدال ٢٢٤/٢ ، النجوم الزاهرة ١٠/٢ ، وفيات الأعيان ٢١٣/١ .

(٢) هو خيثمة بن عبد الرحمن بن أبى سبرة بفتح المهملتين موحدة ساكنة الجعفى الكوفى ، روى عن أبيه وعلى وعائشة وأبى هريرة ، وعنه جماعة منهم إبراهيم والحكم بن عتيبة وعمرو بن مرة وطلحة بن مصرف ، مات سنة ٨٠ هـ .

انظر : خلاصة تذهيب الكمال ١٠٧ ، ١٠٨ .

* ورد فى صحيح مسلم والبخارى .

(٣) هو عبيد الله بن معاذ العنبرى أبو عمرو البصرى ، روى عن أبيه وأخيه المثنى ومعمر ، وعنه مسلم وأبو داود وأبو يعلى وأبو زرعة ، مات سنة ٢٣٧ هـ .

انظر : تذكرة الحفاظ ٤٩٠/٢ ، العبر ٤٢٥/١ .

(٤) انظر : تاريخ بغداد ٢٥٥/٩ ، تهذيب الأسماء ٢٤٤/١ ، شذرات الذهب ٢٤٧/١ ، العبر ٢٣٤/١ .

(٥) هو سليمان بن مهران الأعمش الأسدى الكاهلى ، مات سنة ١٤٨ هـ .

انظر : تاريخ بغداد ٣/٩ ، طبقات ابن سعد ٢٣٨/٦ ، طبقات القراء للذهبى ٧٨/١

** ورد فى صحيح مسلم .

(٦) له ترجمة وافية فى تاريخ بغداد .

(٧) هو خالد بن الحارث بن عبيد الله البصرى الهجيمى أبو عثمان ، روى عن حسين المعلم وحميد الطويل وسعيد بن أبى عروبة والثورى وشعبة ، وعنه أحمد بن حنبل وابن راهويه ، وبن المدينى ومسدد ، ثقه ، مات سنة ١٨٦هـ ، وكان قد ولد سنة ١٢٤ هـ .

* ورد فى سنن ابن ماجه .

ثنا محمد بن المثنى [١] قال : ثنا محمد بن جعفر [٢] قال : ثنا شعبة ، عن قيس بن مسلم [٣] ، عن طارق بن شهاب [٤] ، عن عبد الله بن مسعود أنه قال : « **إن الرجل منكم ليخرج من بيته فيلقى الرجل له إليه حاجة فيقول : ذيت وذيت ، فيمدحه ، فعسى ألاّ يحظى من حاجته بشيء ، فيرجع وقد أسخط الله عز وجل ، وما معه من دينه شيء** » ** .

ثنا أبو حفص ، عمرو بن عثمان بن كثير بن دينار الحمصي [٥] . قال ثنا أبي ، عن حريز بن عثمان [٦] عن أبي الحسن نمران ، عن بن أبي مليكة الذماري [٧] قال : « **إن الرجل ليدخل على الإمام فيما يخرج إلاّ مشركاً أو منافقاً ، إن أعطاه حمده ، وإن منعه خرج يذمه ويعيبه ، فإذا فعل هذا بالإمام فقد نافق وأشرك ، وإنما يعطي ويمنع الله** » * .

---

(١) هو محمد بن المثنى بن عبيد العنزي أبو موسى الحافظ البصري المعروف بالزمن روى عن غندر وبن عيينة وابن نمير ووكيع ويحيى القطان ، وعنه الأئمة الستة وأبو حاتم وأبو زرعة ، مات سنة ٢٥٢ هـ.
انظر : شذرات الذهب ١٢٦/٢ ، العبر ٤/٢ ، تذكرة الحفاظ ٥١٢/٢ ، طبقات الحفاظ ٢٢٢، ٢٢٣.

(٢) هو محمد بن جعفر الهذلي البصري الحافظ غندر ، روى عن شعبة والسفيانين وبن جريج وعدة، وعنه أحمد ويحيى وإسحاق وابن المديني وابن المثنى وابن بشار ، ثقة ، مات سنة ١٩٣ هـ .
انظر : تذكرة الحفاظ ٣٠٠/١ ، تهذيب التهذيب ٩٦/٩ ، شذرات الذهب ٣٣٣/١ ، ميزان الاعتدال ٥٠٢/٣ .

(٣) قيس بن مسلم الجدلي بفتح الجيم أبو عمرو الكوفي ، روى عن طارق بن شهاب والحسن بن محمد ابن علي ، وعنه الأعمش ومسعر وشعبة ، مات سنة ١٢٠ هـ .

(٤) طارق بن شهاب الأحمسي كوفي مخضرم وله رؤية قاله أبو داود ، روى عن أبي بكر وعمر وعلي وابن مسعود وأبي موسى ، وعنه قيس بن مسلم وعلقمة بن مرثد وثقه ابن معين ، مات سنة ٨٢هـ.
انظر : خلاصة تذهيب الكمال ١٧٨ .

** ورد في مفتاح كنوز السنة .

(٥) انظر : تذكرة الحفاظ ٥٠٩/٢ ، تهذيب التهذيب ٧٦/٨ ، شذرات الذهب ١٢٤/٢ العبر ١/٢ .

(٦) هو حريز بن عثمان الرحبي المشرقي أبو عثمان ويقال أبو عون الشامي الحمصي روى عن عبد الله ابن بسر الصحابي وحبان بن زيد الشرعبي وراشد بن مسعد ، وعنه حجاج الأعور وآدم بن أبي إياس وعلي بن عياش ويزيد بن هارون ولد سنة ٨٠ هـ ، ومات سنة ١٦٣ هـ .
انظر : ميزان الاعتدال ٤٧٥/١ ، العبر ٢٤١/١ ، تذكرة الحفاظ ١٧٦/١ ، تاريخ بغداد ٣٦٥/٨ .

(٧) هو عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة واسمه زهير بن عبد الله بن جدعان القرشي أبو بكر ويقال أبو محمد المالكي كان قاضياً لعبد الله بن الزبير ومؤذناً له ، مات سنة ١١٧ هـ .
انظر : طبقات القراء لابن الجزري ١٠١/١ ، تهذيب التهذيب ٣٠٦/٥ ، طبقات الحفاظ ٤١ .

* ورد في سنن البيهقي .

ثنا محمد بن مصطفى الحمصى قال : ثنا بقية بن الوليد [١] ، عن ثور بن يزيد [٢] عن خالد بن معدان [٣] قال : « **إيَّاكم والخطرات فإن الرجل قد تنافق يده من سائر جسده** » ** .

ثنا رباح بن الفرج الدمشقى [٤] قال : ثنا أبى عبد رب عن أم الدرداء ، أن أبا الدرداء كان يقول إذا رأى الميت قد مات على حال صالحة : هنيئاً لك ، ليتنى بدلاً لك ، فقالت له أم الدرداء : لـمَ تقول ذلك؟ قال : هل تعلمين يا حمقاء أن الرجل يصبح مؤمناً ويمسى منافقاً؟ قالت : وكيف؟ قال : يسلب إيمـانه ولا يشعر ، لأنا بالموت لهذا أغبط منى لهذا بالبقاء فى الصلاة والصيام .

ثنا عبد الرحمن بن إبراهيم الدمشقى قال : ثنا الوليد بن مسلم قال : ثنا سعيد بن عبد العزيز ، عن أبى عبد رب ، عن أم الدرداء عن أبى الدرداء قال : يبلغنى أن الرجل يأتيه الموت وهو على حال حسنة فأقول : هنيئاً له فقلت : ولم؟ فقال : يا حمقاء أما تعلمين أن الرجل يصبح مؤمناً ثم يُسْلَب إيمانه ولا يشعر؟ لأنا لهذا بالموت أغبط منى لهذا بالبقاء فى الصوم والصلاة .

---

(١) هو بقية بن الوليد بن صائد بن كعب الكلاعى الحميرى أبو محمد الحمصى ، روى عن إبراهيم بن أدهم وإسماعيل بن عياش وبحير بن سعد وثور بن يزيد ، وعنه أسد بن موسى وبن راهويه وسويد بن سعيد وأحمد بن الفرج وهو آخر من روى عنه ولد سنة ١٠٠ هـ ، ومات سنة ١٩٧ هـ .

انظر : ميزان الاعتدال ٣٣١/١ ، النجوم الزاهرة ١٥٥/٢ ، تاريخ بغداد ١٢٣/٧ ، تذكرة الحفاظ ٢٨٩/١ .

(٢) هو ثور بن يزيد الكلاعى أبو خالد الشامى الحمصى ، روى عن خالد بن معدان ورجاء بن حيوة والزهرى وعكرمة مولى ابن عباس وعطاء بن أبى رباح وعطاء بن السائب وأبى الزبير ، وعنه بقية وإسماعيل بن عياش والثورى وابن عيينة ومالك وعبد الرزاق ثقة ، مات سنة ١٥٣ هـ .

انظر : شذرات الذهب ٢٣٤/١ ، العبر ٢١٩/١ ، تذكرة الحفاظ ١٧٥/١ .

(٣) هو خالد بن معدان بن أبى كريب الكلاعى أبو عبد الله الحمصى من فقهاء الشام ، أدرك سبعين من أصحابه مات سنة ١٠٣ هـ وقيل ١٠٥ هـ .

انظر : تذكرة الحفاظ ٣٩/١ ، تهذيب التهذيب ١١٨/٣ ، العبر ١٢٦/١ ، النجوم الزاهرة ٢٥٢/١ .

** ورد فى سنن النسائى والدارقطنى .

(٤) انظر : تذكرة الحفاظ للذهبى .

ثنا أبو عمير بن النحاس الرملى [1] قال : ثنا صخرة بن ربيعة [2] عن ابن شوذب [3] قال : قيل للحسن : يا أبا سعيد ، اليوم نفاق ، قال : لو خرجوا من أزقة البصرة لاستوجب منها .

ثنا صفوان بن صالح [4] قال : ثنا ضمرة [5] قال : ثنا ابن شوذب عن الحسن قال : لا تقوم الساعة حتى يسود كل قوم منافقوهم .

ثنا صفوان بن صالح قال : ثنا ضمرة بن ربيعة ، قال ثنا عبد الله بن شوذب ، عن الحسن قال : « لا يُلْقَى المؤمن إلاَّ شاحباً ، ولا يُلْقَى المنافق إلاَّ باضاً » [6] .

تم هذا الجزء ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين ، وسلَّم تسليماً كثيراً ، وقد صادف الفراغ منه بكرة الجمعة ، سابع وعشرين من شعبان ، سنة اثنين وتسعين وخمسمائة بالموصل ، بدار الحديث المظفرية ، نقله لنفسه وسمعه محمد بن أحمد بن الحسين الهكارى *

---

(١) انظر : تذكرة الحفاظ للذهبى

(٢) هو صخرة بن ربيعة ثقة وقيل : قليل الحديث .

انظر : خلاصة تذهيب الكمال ١٧٥ .

(٣) هو عبد الله بن شوذب البلخى أبو عبد الله نزيل الشام روى عن الحسن وابن سيرين ومكحول وعنه أبو إسحاق الفزارى وابن المبارك وثقه أحمد ابن معين مات سنة ١٥٦ هـ .

انظر : خلاصة تذهيب الكمال ٢٠١ .

(٤) هو صفوان بن صالح بن صفوان بن دينار الثقفى مولاهم أبو عبد الملك الدمشقى مؤذن الجامع عن الوليد بن مسلم وابن عيينة ووكيع ومروان بن معاوية ، وعنه أبو زرعة الدمشقى والرازى وأبو حاتم، مات سنة ٢٣٧ هـ .

انظر : خلاصة تذهيب الكمال : ١٧٤ .

(٥) هو ضمرة بن ربيعة القرشى الحمصى أبو على الرملى عن مولاه على بن أبى جميلة مولى قريش وإبراهيم بن أبى عبلة والثورى وعثمان بن أبى عطاء خلق ، وعنه إسماعيل بن عياش من شيوخه ونعيم بن حماد وصفوان بن صالح ودحيم وثقه أحمد وابن معين والنسائى وابن سعد ، مات سنة ٢٠٢ هـ .

انظر : خلاصة تذهيب الكمال : ١٧٧ .

(٦) ورد فى صحيح البخارى ومسلم وسنن الترمذى .

* هذا آخر ما وجد من المطبوع .

الفهـــرس

رقم الإيداع ٤٧٤٦ / ٩٧
الترقيم الدولي I.S.B.N. / 977-5481-34-1

مطبعة الوادي الجديد تليفون ٣٢٠١٤٧٢